

روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جداً!!
٣٦
الموت الأزرق
باسل
Www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف



د. نبيل فاروق

الموت الأزرق

- ما سرّ الرجال ذوى الوجوه الزُّرق الذين يثيرون الرعب فى الصعيد ؟
- ماذا لو اضْطُرَّ (نور) يومًا إلى مقاتلة أفراد الفريق أنفسهم ؟
- لمن يكون النصر فى النهاية ؟ لـ (نور) ورفاقه .. أم لحملة (الموت الأزرق) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة .. واشترك مع (نور) فى حل اللُّغز .

٣٦



الثمن فى مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : السماء المظلمة



١ ــ خطوات الرُّعب ..

تسلَّل النعاس إلى جفنى الدكتور (فؤاد عيسى) ، مدير مستشفى (مرسى مطروح) الجديد ، فتثاءب فى قوة ، وهزَّ رأسه وكأنه ينفض عنها الكسل ، ثم تطلَّع إلى ساعته ، فوجدها تشير إلى الرابعة من صباح ذلك اليوم الحار ، من أيام شهر أغسطس ، ودفعه هذا إلى التنهُّد قائلًا :

ــ يا لها من ليلة طويلة !! وهذه النوبتجية تبدو كأنّه لا نهاية لها ، حتى المرضى لم يصب أيهم بما يدعو إلى العمل .

وابتسم عند هذه النقطة بتكاسل ، فقد أدهشه أن يتمنَّى بعض التعب لمرضاه ، تخلُّصًا من حالة الملل التى سيطرت عليه هذه الليلة ، وعاد يتثاءب وهو يفرد ساقيه عن آخرهما أمامه ..

وفجأة .. تناهى إلى مسامعه صوت خافت منتظم ، من الممشى الطويل خارج الحجرة ، ووجد حواسه كلها تتنبه ، وكأن فى هذا خروجًا ، أو ثورة على حالة الملل ..

كانت الخطوات بطيئة منتظمة ، تقترب من حجرته فى إيقاع ثابت يعلو رويدًا رويدًا ، ولسبب ما شعر الدكتور (فؤاد) بخوف مبهم يسرى فى قلبه ، فنهض ، وتحدَّث إلى نفسه بصوت مرتفع ، وكأنه يطرد حالة الخوف التى سيطرت عليه :

ــ لا شك أنه أحد المرضى قد استيقظ و ....

وبتر عبارته فجأة ، وعقد حاجبيه بمزيد من الدهشة والقلق ، فلقد تذكَّر أن هذا المستشفى يضم فقط المرضى المصابين بكسور عنيفة ، تعجزهم عن المشى فترات طويلة ، وأن طاقم التمريض بأكمله من الآليين ، وتذكر بمزيد من الخوف أنه الرجل الوحيد القادر على المشى فى هذا المستشفى الضخم .

شعور عجيب ذلك الذى انتابه ، فقد وجد جسده كله يرتجف ، كأنما قد شاهد مشهدًا مرعبًا ، وسمع صوت أسنانه وهى تصطك بعضها ببعض ، ولكنه لم يلبث أن تغلَّب على المشاعر جميعها ، وهتف فى حنق :

ــ من الذى يتجوَّل هنا بحقِّ السماء ؟

ثم تحرَّك فى حدَّة نحو مقبض باب حجرته ، ولم يكد يمسه حتى توقفت الخطوات بغتة فى الممشى الخارجى ، مما أعاد إلى الدكتور (فؤاد) كل توتُّره ، وقلقه و .. خوفه ..

وبعد فترة من الصمت سمع صوت الخطوات يعود مرة أخرى ، ولكنه لم يكن يقترب منه هذه المرة ، بل كان يتسلَّل إلى واحدة من حجرات المرضى التى يمتلئ بها الممشى ..

شىء واحد يحطِّم كل عوامل الخوف فى نفس الدكتور (فؤاد عيسى) .. إنه قلقه على مرضاه ، فلم يكد يسمع صوت الخطوات وهى تتسلَّل داخل أحد الحجرات ،

حتى أدار مقبض الباب ، واندفع إلى الممشى الخارجى ، ودارت عيناه يمنةً ويسرة ، قبل أن تتوقَّف عند باب مفتوح لأحد حجرات المستشفى ، فتحرَّك نحوه فى خطوات غاضبة سريعة ، وقد تلاشى خوفه ، وحل محله حنق بالغ ، على ذلك الفضولىّ الذى يزور المرضى فى أوقات الراحة .

كانت خطواته قوية ، غاضبة ، ثائرة ، حتى انبعثت تلك الصرخة الرهيبة .

كانت صرخة تموج بالرُّعب والفزع ، مع مزيج من التوتُّر والتوسُّل ، صرخة لم يسمع الدكتور (فؤاد) مثلها فى حياته ، انطلقت من الحجرة المفتوحة ، حيث اختفت الخطوات الغامضة ، ومع نهاية الصرخة ارتفع صوت المريض صاحب تلك الحجرة يهتف :

ـــ كلَّا .. كلَّا .. إننى لن أخبر أحدًا .. لن أخبر أحدًا .

اندفع الدكتور (فؤاد) إلى حجرة مريضه مع تصاعد همهمات القلق من حجرات المرضى الآخرين ، الذين أيقظتهم تلك الصرخة المرعبة .. ولم يكد الدكتور (فؤاد) يصل إلى باب حجرة المريض ، حتى توقف فجأة ..

كان هناك رجل يرفل فى عباءة زرقاء ، ينحنى فوق المريض الذى اختفت صرخاته تمامًا ، وكان ظهره تجاه الدكتور (فؤاد) ، الذى هتف فى صوت متحشرج من شدة الانفعال :

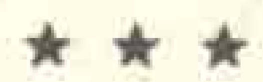
ـــ من أنت ؟ .. وماذا تفعل هنا ؟

استدار إليه صاحب العباءة الزرقاء فى بطء ، ولم يكد بصر الدكتور (فؤاد) يقع على وجه الزائر الفضولىّ ، حتى ارتجف جسده ، فى انتفاضة قوية ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، فقد كان وجه الزائر أزرق تمامًا ، وعيناه حمراوين بلون الدم ، وكانت ملامحه

استدار إليه صاحب العباءة الزرقاء فى بطء ، ولم يكد بصر الدكتور (فؤاد) يقع على وجه الزائر الفضولىّ حتى ارتجف جسده ..

البغيضة تحمل غضبًا لا نهاية له ، غضبًا حبس الكلمات فى حلق الطبيب ..

وبنفس الخطوات البطيئة المخيفة اقترب الزائر الأزرق من الطبيب ، وحاول الدكتور (فؤاد) أن يعدُو خارجًا ، ولكن ساقيه تسمَّرتا ، وعجز عن رفع عينيه عن تلك العينين الحمراوين ، واتسعت عيناه رعبًا حينما مدَّ الزائر الأزرق أصابعه المعروقة نحو عنقه ، وأراد أن يصرخ رعبًا وفزعًا ، ولكنه وجد السماء تظلم من حوله ، وانهارت ساقاه و .. فقد الوعى .





٢ ــ جريمة الموسم ..

توقَّفت سيارة الرائد (نور الدين) أمام مستشفى (مرسى مطروح) ، وقفز هو منها فى رشاقة كعادته ، ثم تحرَّك فى خطوات واسعة سريعة نحو المستشفى ، وتجاوز سيارات الشرطة العديدة التى تملأ ساحته ، وقفز درجات السُّلَّم إلى الطابق الثانى ، حيث استقبله ضابط شرطة برتبة نقيب ، رفع حاجبيه فى دهشة وهو يهتف :

ــ الرائد (نور الدين) .. هل ستتولَّى المخابرات العلمية هذه العملية ؟

أجابه (نور) وهو يلوِّح بذراعيه فى ضيق :

ــ إننى هنا دون تكليف رسمى أيها الضابط ، إن الدكتور (فؤاد) صديق شخصى لى .

مطَّ الضابط شفتيه فى أسف ، وقال :

ــ يؤسفنى ذلك يا سيادة الرائد ، فهو متورِّط حتى النخاع .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله :

ــ وكيف توصَّلت إلى اتهامه على هذا النحو الواثق أيها الضابط ؟

هزَّ الضابط كتفيه ، وهو يقول :

ــ إنه الرجل الوحيد الذى يستطيع التحرُّك على قدميه داخل المبنى يا سيادة الرائد ، وحراس الأمن يؤكدون أن أحدًا لم يدخل إلى المستشفى طيلة ليل أمس ، والانتقال إلى حجرة القتيل يحتاج إلى قدمين .. أليس كذلك ؟

بدا وجه (نور) جامدًا ، وهو يغمغم :

ــ ليس دائمًا .

نظر إليه الضابط فى دهشة ، ثم قال فى حماس :

ــ لقد أسرع حراس المبنى إلى الداخل ، بعد خمس دقائق من سماعهم صرخة القتيل ، وأنت تعلم أن هذا

المستشفى ليس له سوى مخرج واحد ، وفى الداخل لم يكن هناك سوى الدكتور (فؤاد) ، متظاهرًا بفقدان الوعى أمام القتيل ، وحينما أفاق ، أو تظاهر باستعادة وعيه ، قصَّ عليهم قصة عجيبة عن رجل أزرق اللون ، قصة لا يمكن أن يصدِّقها أحد ، وبرغم غرابتها فتش حراس الأمن المبنى بأكمله ، فلم يجدوا رجلًا واحدًا يمكنه الحركة ، سواء كان أزرق اللون أو أحمره .

صمت (نور) لحظات ، وقد ازداد انعقاد حاجبيه ، دلالة على التفكير العميق ، ثم سأل الضابط فى هدوء :

ـــ كيف لقى القتيل مصرعه أيها الضابط ؟

أجابه الضابط :

ـــ خنقًا أيها الرائد ، لقد لفَّ أحدهم حبلًا أزرق اللون حول رقبته ، واعتصرها حتى الموت .

غمغم (نور) ، وكأنه يحادث نفسه :

ـــ أزرق اللون ؟

اندفع الضابط ، وكأنما يدافع عن وجهة نظره ، قائلًا :

ـــ هذا جزء من الخُطَّة يا سيادة الرائد ، قصة خيالية محبوكة و ....

أوقفه (نور) بإشارة من يده ، وقال :

ـــ دعنا نؤجل مناقشة نظريتك حتى أقابل الدكتور (فؤاد) أيها الضابط ، هذا إذا لم يكن لديك ما يمنع ذلك .

* * *

ارتجف جسد الدكتور (فؤاد) وهو يختم حديثه مع (نور) ، وأردف فى صوت مفعم برعب لم يزايله بعد :

ـــ لن يمكنك تصوُّر بشاعة هذا الوجه الأزرق يا (نور) ، إنه لن يفارق مخيِّلتى ما بقى لى من عمر .. إنك تصدِّقنى .. أليس كذلك ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ إننى أصدِّق كل كلمة نطقت بها يا دكتور (فؤاد) ، فبرغم غرابة قصتك ، إلا أننى واجهت ما هو أكثر غرابةً فى عمليات سابقة ، ولكن هناك عدة نقاط تحتاج إلى تفسير .

سأله الدكتور (فؤاد) فى لهفة ، وكأنه يتشبَّث بالأمل الذى منحته إيَّاه كلمات (نور) :

ـ سل ما بدا لك يا (نور) ، سأجيبك بقدر ما أستطيع .

ظل (نور) صامتًا يفكِّر بضع لحظات ، ثم سأله :

ـ يقول حراس الأمن إنَّ أحدًا لم يدخل المبنى ، أو يغادره خلال الحادث ، وإنهم لم يعثروا على أدنى أثر لذلك القاتل الأزرق ، فكيف تتصوَّر أنه وصل إلى هنا ؟

هزَّ الدكتور (فؤاد) رأسه فى حَيْرة ، وقال :

ـ من يدرى ؟ .. ليتنى أمتلك إجابة عن هذا السؤال يا (نور) .

عاد (نور) إلى صمته وهلة ، قبل أن يعاود سؤاله :

ـ كيف فقدت الوعى ؟

أجابه الدكتور (فؤاد) :

ـ لست أدرى يا (نور) ، لقد كنت أحدِّق برعب فى تلك العينين الحمراوين ، حينما مدَّ ذلك الرجل

البشع يده الزرقاء إلى عنقى ، وقبل أن يمسَّها فقدت الوعى .

ظهر الاهتمام على وجه (نور) ، وهو يسأله :

ـ هل أنت واثق أنه لم يمس عنقك ؟

هزَّ رأسه إيجابًا فى قوة ، فظهرت دلائل التفكير العميق على وجه (نور) ، وغمغم :

ـ لا بدَّ من دليل واحد ، يؤيد هذا يا دكتور (فؤاد) .

ظهر اليأس على وجه الدكتور (فؤاد) ، ولوَّح بكفِّه قائلًا :

ـ يبدو أنه ليس هناك من أمل ، إن كل الحلقات تضيق من حولى .

صاح (نور) :

ـ لا تفقد الأمل بهذه السرعة يا صديقى ، إننى أومن ببراءتك ، ولن أعدم وسيلة لإثباتها .

رفع إليه الدكتور (فؤاد) عينين يلوح فيهما الامتنان والشكر ، وقال :

ــ إننى أعلم عبقريتك فى حل غوامض الأمور يا (نور) ، سأسلمك عنقى واثقًا .

فتح (نور) فمه ليشكره على ثقته ، حينما دقّ الباب عدة دقات متعجِّلة ، فاستدار (نور) يفتحه ، وهو يتصوَّر أن الضابط هو صاحب هذه الطرقات ، ولكنه لم يكد يفتح الباب حتى اكتسى وجهه بالضيق ، وعلى الجانب الآخر من الباب ، رفعت (مشيرة محفوظ) الصحفية الشهيرة بجريدة (أنباء الڤيديو) حاجبيها فى دهشة ، ثم لم تلبث أن هتفت فى لهجة خبيثة ، وهى تندفع إلى داخل الحجرة :

ــ يا إلهى !! لقد كنت أظننى بصدد جريمة قتل عاديَّة .

ثم تأمَّلت (نور) ، وهى تردف فى سخرية :

ــ ولكن وجود الرائد (نور الدين) ، يؤكد أننى سأنقل للمشاهدين قضية الموسم .

★ ★ ★

٣ ــ عالم أزرق اللون ..

أطلقت (مشيرة محفوظ) ضحكة ساخرة طويلة ، وتأمَّلتْ وجه (نور) بمزيج من الشماتة والخبث ، وهى تقول :

ــ إننى لا أصدِّق كلمة واحدة مما نطق به بالطبع ، إن قصته تصلح لفيلم سينمائى ، يبرع فيه مخرجو أفلام الرُّعب المجسَّمة ، ولكنها لا تصلح دفاعًا جيِّدًا عما اقترفه .

أجابها (نور) فى برود :

ــ إنه لم يُدَن بعد يا (مشيرة)

ضحكت مرة ثانية ، وهى تقول :

ــ ولكنه سيُدَانُ ولا شكَّ .. إن كل الأدلة تؤكد ....

قاطعها (نور) فى حدَّة :

— أيَّة أدلة ؟!!

حدَّقت فى وجهه بدهشة ، على حين أردف هو محتدًّا :

— إن كل ما تسمونه أدلة إتهام ، أراه أنا عوامل نفى خطيرة ، فلا توجد علاقة واحدة بين الدكتور (فؤاد) ، وذلك القتيل الذى يعمل فى التنقيب عن الآثار ، وحتى لو افترضنا أن الدكتور (فؤاد) — لسبب مجهول — قرَّر قتله ، فإنه لم يكن يحتاج إلى كل هذا اللف والدوران ليفعل ذلك ، كان يكفيه أن يعالجه بدواء مميت ، أو يضاعف جرعة أحد الأدوية إلى حد الموت .

ظهر الغضب على وجه (مشيرة) ، وهى تقول فى حدَّة مماثلة :

— إذن فأنت تصدِّق تلك الرواية ، المليئة باللون الأزرق ، التى يقصَّها على الجميع .

قال (نور) :

— إن العباءة الزرقاء والحبل الأزرق ، أشياء يمكن شراؤها من أى متجر فى مصر ، أما عن لون الجلد الأزرق ، والعينين الحمراوين ، فهذا عمل تافه بالنسبة لأى رجل يجيد أقل القليل من فن المكياج .

أطلقت (مشيرة) ضحكة ساخرة ثانية ، وهتفت وهى تلوِّح بذراعيها فى شكل مسرحى :

— إذن فكل الأمور يسهل افتعالها حينما يريد الرائد (نور) ذلك ، والقاتل مظلوم ما دام صديقًا له ، دون أن يلتزم بتقديم دليل واحد يؤيد قوله .. يا لك من مغرور !!

كتم (نور) غيظه وضيقه فى صعوبة ، وقال :

— سأبحث عن الدليل يا (مشيرة) ، وثقى أننى لن أعجز عن إيجاده .

ابتسمت فى سخرية ، وقالت :

— هل ستجد أيضًا تفسيرًا لدخول وخروج هذا الوحش الأزرق ، المتنكِّر فى صورة إنسان ؟ هل ارتدى

طاقية الإخفاء وهو يعبر مقر حرَّاس الأمن دخولًا وخروجًا ، أو أنه هبط من السماء ؟

تألَّقت عينا (نور) فجأة ، وبوغتت به يمسك كتفيها ، صائحًا فى فرح :

ـ لقد نطقت بها .. إنها الوسيلة الوحيدة المقبولة ، والمعقولة .. نعم .. لقد هبط من السماء .

★ ★ ★

حدَّق ضابط الشرطة فى وجه (نور) بدهشة ، ثم هزَّ رأسه كأنه لا يصدِّق حرفًا واحدًا مما يقوله (نور) ، ولكنه حرصًا على فارق الرتب بينهما ، قال فى احترام :

ـ إن قتل رجل لا يحتاج إلى كل هذا يا سيادة الرائد .

أجابه (نور) :

ـ هذا يتوقَّف على أهمية الرجل أيها النقيب .

صمت النقيب لحظة ، ثم قال :

ـ ولكن هذا يعنى أن رجال الأمن صُمّ ، فكل

الحوَّامات والطوَّافات التى يمكنها الهبوط فوق سطح المستشفى ، لها صوت واضح مسموع .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وقال :

ـ حتى ولو كان لها صوت كالهدير ، فلن ينتبه إليها أحد من رجالك ، فهم ليسوا مقاتلين فى جيش ، يخوض حربًا ضروسًا ، إن مهمتهم تقتصر على منع دخول من لا يحمل تصريحًا إلى المستشفى ، ولكنهم لن يراقبوا الطائرات .

ظهر الشك على وجه النقيب ، فأردف (نور) :

ـ هل ستتوقَّع أن تهبط طوَّافة فوق منزلك ، لو أنك سمعت هدير مراوحها فوقك ؟

ظل الشك مرتسمًا فى ملامح النقيب بعض الوقت ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ إننى لن أتوقَّع ذلك بالطبع ، ولكن ....

قاطعه (نور) قائلًا :

ــ ولكن الشىء الوحيد الذى يحسم مثل هذا الاستنتاج ، هو فحص سطح المبنى .

تردَّد النقيب لحظة ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، وقال :

ــ ولِمَ لا ؟ إننا لن نخسر شيئًا

* * *

وقف الرائد (نور) ، ونقيب الشرطة يفحصان السطح الواسع بعيونهما ، ثم قال النقيب وهو يشير بكفِّه إشارة مبهمة :

ــ هل سنفحص كل هذا المكان ؟

ثم أردف وهو يهزُّ رأسه حَيْرة :

ــ سيستغرق هذا منا ثلاثة أيام على الأقل .

ضحك (نور) وهو يقول :

ــ اطمئن أيها النقيب ، إننا لن نفحصه كله ، سنكتفى بقدر ضئيل منه .

نظر إليه النقيب فى دهشة ، فتابع قائلًا :

ــ لو أنك أردت الهبوط بطوَّافة على سطح المستشفى ، فإنك ستتخيَّر مكانًا وسطًا ، يجعلك غير ملحوظ من حراس الأمن ، كما أنك ستتخيَّر مكانًا متسعًا لا تعوقه أسلاك المراقبة أو الهوائيات .. إنك باختصار لن تجد أفضل من هذا المكان هناك .

وأعقب عبارته بأن تحرَّك نحو النقطة التى أشار إليها ، وتبعه النقيب فى صمت ، وراقبه وهو يتفحَّص المنطقة فى اهتمام بالغ ، ثم رآه ينحنى ليفحص أرض السطح فى تركيز شديد ، فاقترب منه يسأله :

ــ هل وجدت شيئًا يا سيادة الرائد ؟

أشار (نور) إلى بقعة داكنة تلوِّث السطح ، وقال :

ــ هذا نوع من مخلفات الوقود الأمينى أيها النقيب ، وهى لم تلتصق بالسطح بعد ، وهذا يعنى أنه لم يمض عليها هنا أكثر من ثمان وأربعين ساعة ، ما دام السطح لا يستخدم عادة لهبوط الحوَّامات ، فهذا يعنى ....

قاطعه النقيب ، وهو يكمِّل العبارة فى دهشة :

ــ أن القاتل الأزرق قد هبط على السطح .

ثم هزَّ رأسه فى قوة ، وكأنه يرفض الاعتراف بالفشل ، وقال :

ــ إنه مجرَّد افتراض بالطبع .

وقف (نور) يتأمَّل بقعة الوقود المتخلِّف ، ثم ابتسم ابتسامة تفيض عزمًا ، وحماسًا وهو يقول فى بطء ، يحمل رنَّة النصر :

ــ لقد أحسنت التنبؤ منذ البداية أيها النقيب ، يبدو أن المخابرات العلمية ستتولَّى رسميًّا هذه العملية ، وأن القضية ستبدأ الآن .

* * *

٢٤ ــ مهمة الفريق ..

أوقف (رمزى) جهاز الكمبيوتر الصغير أمامه عن العمل ، ثم التفت إلى (نور) ، وقال :

ــ أنت محقّ أيها القائد .. بهذا التاريخ النفسى ، من المستحيل أن يقدم رجل مثل الدكتور (فؤاد) على القتل .

تنهَّد (نور) فى ارتياح ، وقال :

ــ كنت مُوقِنًا من ذلك يا عزيزى (رمزى) ، ولكننى أردت استشارة خبير فى الطب النَفسى .

قال (محمود) ، وهو يعدل وضع منظاره الطِّبِّىّ :

ــ هذا يعنى أن قصة الدكتور (فؤاد) صادقة يا (نور) .

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

ــ إننى لم أشك فى هذا لحظة يا (محمود) .

قالت (سلوى) :
ـــ ما سر ذلك القاتل الأزرق اللون إذن ؟
عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :
ـــ ستأتى الإجابة عن هذا السؤال فى نهاية قائمة من الأسئلة يا (سلوى) ، فقد بذلت مجهودًا رهيبًا ، لإقناع القائد الأعلى أن تحتضن المخابرات العلمية هذه العملية ، وبذل هو بدوره جهدًا مماثلًا لإقناع رئيس الوزراء ، فجرائم القتل عادة لا تدخل فى نطاق عمل المخابرات العلمية .
هزَّت (سلوى) رأسها علامة الفهم ، وقالت :
ـــ وما السؤال الأول فى قائمتك يا (نور) ؟
رفع (نور) ذقنه قليلًا ، وبدا لحظات وكأنه استغرق فى التفكير تمامًا ، ثم قال :
ـــ حينما صرخ القتيل قبيل مصرعه ، كان يهتف أنه لن يخبر أحدًا ، هذه هى العبارة الوحيدة التى سمعها الدكتور (فؤاد) ، وهى تعنى أن القتيل وهو عالم آثار

قديم ، يُدْعَى (وليد عبد الحكيم) ، كان يعرف جيِّدًا من هو قاتله ذو الوجه الأزرق ، بل إن لونه لم يثر انتباهه ، وإنما فهم على الفور أنه ينوى قتله ، من أجل شيء ما يعلمه ، فى حين أن مصلحة ذلك القاتل الأزرق تقضى أن يظل ذلك الشيء مجهولًا للجميع .. وهكذا نجد أن السؤال الأول الذى يفرض نفسه هو لماذا ؟.. لماذا قُتِلَ عالم الآثار ؟.. وإجابة هذا السؤال تحتاج إلى بحث طويل فى حياة الرجل العائلية والمهنية ، وهذا ما سنبدأ به بحثنا ، فسأتوجَّه أنا و (سلوى) للحديث مع زوجته وابنته ، على حين تتجه أنت يا (رمزى) ، بصحبة (محمود) إلى هيئة الآثار ، حيث كان يعمل ، وتذكَّروا أن مهمتنا تقتضى جمع أكبر قدر من المعلومات عن (وليد عبد الحكيم) ، فهذه المعلومات ستكون الخيط الوحيد الذى يقودنا إلى حل لغز (الموت الأزرق) .

* * *

وقفت زوجة عالم الآثار القتيل تتأمَّل (نور)

و (سلوى) بعينين حزينتين ، ثم مسحت دمعة ترقرقت من عينها ، وقالت :

ــ وماذا تفيد التحرِّيات أيها الرائد ؟.. لقد خسرناه إلى الأبد .

أجابها (نور) فى لهجة هادئة ، قوية :

ــ لن نترك قاتله يمرح حرًّا طليقًا يا سيِّدتى .

صاحت ابنة العالم :

ــ نعم أيها الرائد .. لن يبقى قاتل والدى حرًّا .

جفَّفت زوجة العالم دموعها ، وقالت :

ــ سَمِعت فى جريدة أنباء الفيديو ، أنهم قد ألقوا القبض على القاتل بالفعل .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لقد ثبتت براءته يا سيِّدتى ، ونحن نبحث عن القاتل الحقيقى .

فتحت فمها تهم بالحديث ، إلَّا أن (نور) بادرها بسؤال مباشر :

ــ هل بدا زوجك (رحمه الله) مضطربًا فى الآونة الأخيرة يا سيِّدتى ؟

هزَّت الزوجة كتفيها ، وقالت :

ــ لست أدرى .. ربَّما .

قاطعتها ابنتها قائلة :

ــ نعم أيها الرائد ، لقد بدا والدى مضطربًا قلقًا ، منذ عودته من رحلته الأخيرة ، ولقد تسبَّب شروده وقلقه فى ذلك الحادث الذى هشَّم عظام ساقه اليسرى ، وأرسل به إلى مستشفى (مرسى مطروح) حيث لقى مصرعه .

استدارت إليها (سلوى) بكل فضولها واهتمامها ، وسألتها :

ــ وأين كانت رحلته الأخيرة هذه ؟

أجابتها الفتاة :

ــ على مشارف جبال الصعيد ، بالقرب من قرية صغيرة من قرى محافظة (قنا) ، تسمى (أولاد

عمرو) .. لقد ذهب ينقّب عن قبر الحكيم الفرعونى الشهير (أمحتب) ، ولكنه عاد قبل أن يتم الحفر ، عاد مضطربًا قلقًا ، وأكاد أجزم أنه لم يذق طعم النوم منذ ذلك الحين ، فقد كان يقضى وقته كله فى فحص ، ودراسة كل مالديه من مراجع عن الحياة المصرية القديمة ، حتى سقط من فوق السُّلَّم وهو يتناول مخطوطًا أثريًا من أعلى رفوف مكتبته ، وتهشّمت ساقه .

قطَّب (نور) حاجبيه ، وقال :

ـ السقوط من أعلى سُلَّم قد يكسر الساق ، ولكنه لا يهشّمها يا فتاتى .

مطَّت الفتاة شفتيها ، وقالت :

ـ لست أدرى شيئًا عن النواحى الطبية ، ولكن هذا ما حدث .

سأل (نور) :

ـ ألم يخبركما عمَّا كان يبحث ؟

هزَّت الزوجة والابنة رأسيهما نفيًا ، وقالت الزوجة :

ـ إنه (رحمه الله) لم يعتَد التحدُّث إلينا عن شئون عمله .

ظهر التفكير العميق على وجه الابنة ، وهى تقول :

ـ صحيح أنه لم يخبرنا عما يبحث ، ولكننى دخلت إليه مرة فى حجرة مكتبه ، وكان منهمكًا فى قراءة موضوع عجيب ، أثار انتباهى جدًّا .

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ أى موضوع هذا ؟

ابتسمت ابتسامة خجلى ، وكأنها تخشى سخريتهما ، وقالت :

ـ أعتقد أنه موضوع يتعلَّق بإناس ذوى بشرة زرقاء ، أهل أطلانتس القدامى .

* * *

٥ ــ المعبد الملعون ..

هزَّ مدير هيئة الآثار رأسه أسفًا ، وهو ينظر إلى (رمزى) و (محمود) فى رثاء :

ــ لقد خسرت الهيئة ذلك العالم تمامًا أيها السيِّدان .. لقد كان (رحمه الله) من أكثر علماء الآثار إخلاصًا لعمله ، وكاد يحصل على جائزة (حورس) لولا رحلته الأخيرة .

سأله (رمزى) :

ــ ماذا فعلته رحلته الأخيرة يا سيِّدى ؟

عاد مدير هيئة الآثار يهزّ رأسه اسفًا ، ثم قال :

ــ لقد ظل يبحث سنوات عن مقبرة الحكيم المصرى القديم (أمحتب) ، صاحب تصميم بناء الهرم الأكبر ، وصاحب أكبر قدر من العلوم والخبرات ، الطبية والهندسية والعلمية والفلكية فى مصر القديمة ، وأخيرًا

أعلن أنه قد توصَّل إلى كشف مكانه ، وخرج على رأس بعثة إلى منطقة جبلية بالقرب من قرية (أولاد عمرو) فى محافظة (قنا) ، وقد بدأ الحفر بالفعل ، ويدَّعى بعض العمال الذين صاحبوه أنه قد عثر على مدخل معبد أثرى بالفعل ، وأنه قد هبط إليه وحده ، ثم عاد عَدْوًا ، والخوف مرتسم على ملامحه ، المهم أنه أمر بإغلاق المعبد ، وردمه مرة ثانية بالرمال ، ثم عاد إلى هنا ، ورفض الإفصاح عن موقع المعبد ، وقدم استقالته من هيئة الآثار ، وحينما حاولت إثناءه كنت كمن يتحدَّث إلى حجر أصمّ ، ولكننى رفضت استقالته رفضًا تامًّا ، فغادرنى غاضبًا ، ولم أره منذ ذلك الحين .

سأله (محمود) :

ــ ومتى كان ذلك بالضبط يا سيِّدى ؟

رفع مدير الهيئة رأسه مفكرًا ، ثم قال :

ــ لقد كان ذلك فى الخامس من أكتوبر ، أى منذ شهر كامل بالضبط .

سأله (رمزى) فى اهتمام كبير :

ـ ألم يشر إلى شىء ما وجده فى ذلك المعبد ؟.. شىء ما أو .. أو شخص ما ؟

نظر إليه مدير الآثار فى دهشة ، ثم ضحك وهو يقول :

ـ شخص ما فى معبد مغلق منذ آلاف السنين ، لاريب أنك تمزح يا دكتور (رمزى) .

ثم عقد حاجبيه ، مستطردًا فى جدٍّ ووقار :

ـ ولكننى لست أشك فى أنه وجد شيئًا مخيفًا أو مريبًا هناك ، فقد رفض تمامًا الإفصاح عن موقع ذلك المعبد ، أو وصف ماوجده بداخله ، كل ماقاله حينما ألحفت عليه هو أنه معبد ملعون ،.. معبد أزرق ملعون .

* * *

اجتمع أفراد الفريق فى منزل (نور) ، وقصَّ كل منهم مالديه على الآخرين ، ثم ساد صمت قلق بعض الوقت ، قبل أن تقطعه (سلوى) بقولها :

ـ عجبًا .. إن كل ما يحيط بهذا اللغز أزرق اللون .

غمغم (نور) وهو يفكِّر :

ـ هذا يؤكد أننا نسير فى الطريق الصحيح يا (سلوى) .

هزَّ (محمود) رأسه فى حَيْرة ، وقال :

ـ لست أفهم سرّ هذا اللون الأزرق حقًّا يا رفاق .

قال (نور) فى اهتمام :

ـ إنه واحد من الألوان الباردة فى عالم الفن يا صديقى ، ولكنه ارتبط فى عقول الناس بالسحر والغموض والرعب ، فأنت تجد أن الأساطير القديمة تتحدَّث عن آلهة زرقاء ، ورجال زرق البشرة يحكمون (أطلانتس) ، القارة الغارقة المفقودة ، تجد أن الملوك والنبلاء فى أوربا يوصفون بأنهم من ذوى الدم الأزرق ، وتجد إمرأة موهوبة فى قبائل العرب تدعى (زرقاء اليمامة) ، كان باستطاعتها رؤية جيوش تهاجم على بعد آلاف الأميال فى الصحراء ، أو هى كانت تتنبَّأ بذلك

لا أحد يدرى ، حتى مخرجوا أفلام الرُّعب يلجئون إلى جعل بشرة الوحوش والشياطين زرقاء ، وكأن شيئًا ما فى أعناقهم يدفعهم إلى ذلك ، إن الرُّعب الأزرق ، يا صديقى قديم قدم الأزل(*) .

غمغمت (سلوى) ، وقد بدأت تشعر بخوف مُبهم :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا يثير اللون الأزرق كل هذا الفزع على مرِّ العصور ؟

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـ من يدرى يا عزيزتى ؟.. إن اللون الأزرق فى رأيى هو لون كل جميل ، فهو لون السماء والبحر ، ولكن شيئًا ما أزرق اللون أثار الرعب منذ عشرات القرون ، وظلت ذكرى هذا الرُّعب تنتقل عَبْر الأجيال ، وكما يقول المثل : « لا يوجد دخان بلا نار » .

(*) كل المعلومات الواردة فى هذا الجزء صحيحة تمامًا ، ومدوَّنة فى كل المراجع التاريخية .

ابتسم (رمزى) وهو يقول :

ـ ولكن العلم الحديث يؤكد أن بعض المواد الكيميائية يمكنها أن تنتج الأدخنة بلا نيران أيها القائد .

صمت (نور) لحظة متأمِّلًا العبارة ، ثم غمغم :

ـ من يدرى يا (رمزى) ؟.. ربما .

ثم رفع سبَّابته أمام وجهه ، وقال :

ـ شىء واحد يمكنه حسم مثل هذا الأمر .

نظر إليه الجميع فى تساؤل ، فأردف وهو يضرب سبَّابته بإبهامه فى قوة :

ـ أن نسافر إلى قرية (أولاد عمرو) . ونعيد البحث عن المعبد الملعون .

صاحت (سلوى) فى دهشة :

ـ هل سنتحوَّل إلى علماء آثار ؟

أجابها فى جدِّيَّة :

ـ نعم ياعزيزتى ، سننبش الأرض بحثًا عن حل هذا اللغز ، سننبشها فعلًا ، إلى أن ننجح أو نرى بأعيننا ذلك (الموت الأزرق) .

* * *



٦ ـ أرض الخطر الأزرق ..

تأمَّل رئيس هيئة الآثار بمحافظة (قنا) وجوه أفراد الفريق ، ثم توجَّه بحديثه إلى (نور) قائلًا :

ـ أنت تطلب مطلبًا عسيرًا أيها الرائد ، فلقد تولَّى الدكتور (وليد) عملية البحث بأكملها ، واختار معاونيه بنفسه ، وهم عادةً من خارج الهيئة ، مجرَّد عمال حفر وتنقيب ، ولن يمكننى العثور عليهم بسهولة .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ يكفينى العثور على واحد منهم فقط يا سيِّدى .

قال رئيس الهيئة ، فى لهجة أقرب إلى الحدَّة :

ـ وماذا تريدنى أن أفعل ؟.. أأنشر إعلانًا بالصحف والمجلات ؟!!

قالت (سلوى) فى ضيق :

ــ لا تعقّد الأمو يا سيّدى ، إننا نبحث عن قاتل الدكتور (وليد) ، وهذا لن يتأتّى إلّا بالعثور على المنطقة التى عثر فيها على المعبد الملعون .

شحب وجه رئيس الهيئة ، وقال:

ــ معبد ملعون ؟!.. أى معبد هذا ؟

أجابه (نور) :

ــ زوجتى تقصد مقبرة (أمحتب) يا سيّدى .

ظهر الاعتراض على وجه رئيس الهيئة ، ولكنه قبل أن ينطق بكلمة واحدة ، اندفع مساعده الشاب يقول :

ــ أنا أعرف واحدًا من هؤلاء العمال أيها السادة .

التقت العيون عند وجه المساعد الشاب ، الذى أردف فى ارتباك :

ــ لو أنكم تصرُّون على الذهاب إلى هناك ، فأنا واثق من قدرتى على إقناعه بمرافقتكم ، ولكنه لن يبقى معكم إذا ماحل المساء .. فمنذ حادث ردم المعبد

انتشرت شائعة تقول : إن هذا المكان ملعون .. ملعون إلى الأبد .

* * *

اعترف أفراد الفريق فى قرارة أنفسهم بالرهبة التى يبعثها المكان ، إذ كان منطقة فسيحة منبسطة ، لا تحوى سوى بضعَة أحجار متناثرة هنا وهناك ، تحيط به الجبال المرتفعة إحاطة السوار بالمعصم ، إلا من ممرّات صغيرة تقود إلى الوادى الواسع ، وأشار الدليل إلى منطقة اختفت من حولها وفوقها الأحجار الصغيرة ، وقال فى صوت لم تختف منه رنّة الخوف :

ــ هذا هو الوادى الملعون ، وتلك المنطقة الخالية من الأحجار فوق المعبد تمامًا .

سأله (رمزى) :

ــ كم قدمًا حفرتم للوصول إليه ؟

هزَّ الرجل كتفيه ، وقال :

ــ لست أدرى يا سيِّدى ، ولكن الحفر استغرق يومًا واحدًا للوصول إلى بوابة المعبد .

تلفتَّت (سلوى) حولها فى قلق ، وقالت :

ــ هذا يعنى أنه قريب للغاية .

قال (محمود) فى اهتمام :

ــ يمكننا العثور عليه باستخدام التردُّدات المرتدة(*) .

عقب (نور) على قوله قائلًا :

ــ هذا ما سنفعله على الفور يا رفاق ، أعدّوا أجهزتكم .

ظهر مزيج من الرُّعب والدهشة على وجه الدليل ، وهتف فى فزع :

ــ ولكن الشمس على وشك المغيب .

(*) أسلوب يستخدم للكشف عن المواد الصلبة فى باطن الأرض ، حيث ترسل موجة صوتية عالية التردُّد ، ثم تستقبل الموجات المنعكسة ، فترتسم صورة للمواد الصلبة التى ارتطمت بها الموجة الأولى .

استدار إليه (نور) ، وقال فى غضب :

ــ ماذا أصابك يا رجل ؟!.. إننا الآن فى القرن الحادى والعشرين ، ولقد حطَّم التطوُّر التكنولوجى كل هذه الخرافات .. أما زلت تخشى الظلام ؟!

تلفَّت الرجل حوله فى فزع ، وكأنه يخشى أن تهاجمه الأشباح ، وصاح :

ــ إنها ليست خرافات يا سيِّدى .. لقد شاهدهم عدد كبير من الناس .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ــ من هم هؤلاء الذين شاهدهم عدد كبير من الناس ؟

ارتجف جسد الدليل المسكين ، وهو يقول :

ــ الأشباح يا سيِّدى ، الأشباح ذات الوجوه الزُّرق .

* * *

داعبت (سلوى) أزرار جهازها ، ثم التفتت إلى (نور) وسألته :

ــ لماذا تركته ينصرف (يانور) ؟ كان من الأفضل أن يقص علينا أسطورة الأشباح الزُّرق هذه .

ابتسم (نور) وهو يقول :

ــ كل ما سيفعله هذا هو أن يزيد من مخاوفنا يا عزيزتى ، ثم إننى لا أصدِّق حرفًا واحدًا مما يقال فى هذا الشأن .

تدخَّل (رمزى) قائلًا :

ــ ليتنى لى ثقتك هذه أيها القائد ، إننى أشعر وكأن الأشباح تحيط بى من كل جانب .

أضاف (محمود) ، الذى انتهى من إعداد خيمتين للمبيت :

ــ هذا ما يراودنى أنا الآخر .

أطلق (نور) ضحكة عالية ، وكأنه يحاول التغلُّب على قلقه ، وقال :

ــ مهلًا يا رفاق ، لقد أتينا لتحطيم هذه الأسطورة ، لا للخوف منها .

وفجأة هتفت (سلوى) :

ــ يا إلهى !! انظروا .

التفت الجميع إلى حيث تشير (سلوى) ، فوقعت أبصارهم على سيارة صاروخية تقترب من موقعهم بسرعتها القصوى ، وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة ، توقفت السيارة أمام مخيَّمهم الصغير ، وقفزت منها (مشيرة محفوظ) ، وهى تحمل آلة التصوير المجسَّم الصغيرة ، وتقول فى لهجة ساخرة متشفية :

ــ مرحبًا أيها السادة ، هل يضايقكم أن أشارككم كشفكم هذا ؟

* * *

كان الظلام قد ساد تمامًا فى الوادى الملعون ، إلا من المصابيح التى أوقدها أفراد الفريق فى مخيَّمهم الصغير المكوَّن من خيمتين ، وعدد من الأجهزة الاليكترونية

الحديثة ، وداخل واحدة من الخيمتين جلس أفراد الفريق بصحبة (مشيرة) التى كانت تقول فى عناد :

ـ كلَّا أيها الرائد ، لن أغادر هذا المكان إلا حين مغادرتكم له ، لقد أتيت بحثًا عن خبر الموسم ، ولن أتراجع عن هذا .

سألها (نور) فى هدوء :

ـ وماذا لو أننا لم نتوصَّل إلى شىء ما ؟

ابتسمت فى سخرية وهى تقول :

ـ حسنًا .. سأتحمل كل النتائج بشجاعة .. ثم إننى أوقن أنه مادام الرائد (نور) هنا ، فلا ريب أننا أمام لغز غامض .

ظهر الضيق على وجه (سلوى) ، على حين رفع (نور) حاجبيه دهشة ، وقال :

ـ ربما أننا أمام نوع من الغموض العلمى ، ولكنه ليس لُغزًا على الإطلاق .

عقدت (مشيرة حاجبيها) فى غضب ، وسألته فى حِدَّة :

ـ لِمَ أتيتم إلى هنا إذن ؟ للنزهة !؟.. إنكم تبحثون عن قاتل وهمىّ أزرق البشرة ، وصحيح أننى لا أثق فى وجود مثل هذا الشىء ، ولكننى أثق فى حصولى على قصة جيّدة ما دمت أصاحبكم .

قال (محمود) فى ضيق :

ـ ليتنا نكون فى مثل ثقتك بعدم وجود ذوى الوجوه الزُّرق هؤلاء .

أطلقت (مشيرة) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقالت :

ـ إننى مستعدة للمراهنة على عدم وجودهم بوظيفتى أيها الشاب .

ثم حملت حقيبتها واندفعت خارج الخيمة ، مستطردة :

ـ وإنى أتحدَّاهم أن يرونى وجوههم .

ولم تكد تتم عبارتها ، حتى توقَّفت الكلمات فى حلقها ، وارتجف جسدها ارتجافة قوية عنيفة ، وجحظت

عيناها رعبًا وذهولًا ، وسقطت حقيبتها وآلة التصوير من يدها .. فهناك على بعد خطوتين منها كان يقف رجل أزرق اللون ، أحمر العينين ، يحدِّق فى وجهها بغضب ومقت ، وهو يرفل فى عباءة بلون الليل .

وبكل ما تملك من قوة ، وبكل ما بقى لديها من وعى ، أطلقت (مشيرة محفوظ) صرخة رعب ارتجت لها الجبال فى وادى الموت الأزرق .

* * *





فهناك على بعد خطوتين منها كان يقف رجل أزرق اللون ، أحمر العينين ، يحدِّق فى وجهها بغضب ..

٧ ــ وبدأ الصراع ..

انتزعت صرخة (مشيرة) المدوِّية أفراد الفريق من مقاعدهم انتزاعًا ، واندفعوا إلى خارج الخيمة ، ولكنهم تسمَّروا جميعًا دفعة واحدة ، وتراجع (محمود) فى حِدَّة جعلته يتعثَّر ويسقط أرضًا ، وسقطت فكّ (رمزى) السفلى وجحظت عيناه ذعرًا ، وأطلقت (سلوى) شهقة خافتة وهى تتعلَّق بذراع (نور) ، الذى اتسعت عيناه دهشة وقلقًا ، وهو يتأمَّل الرجل الأزرق ، الواضح القوة ، الذى التفت يتأمَّلهم فى هدوء مخيف .. وكتمت (سلوى) صرخة رعب ، ماجت فى أعماق صدرها ، حينما استدار ذلك المسخ بجسده كله إليهم ، متجاهلاً (مشيرة) التى تراجعت فى رعب وهى تكتم فمها بكفَّيها ، وكأنها تخشى أن يعود إليها ذلك الوحش الأزرق ، إذا ما أفلتت من شفتيها كلمة واحدة ..

وفى خطوات بطيئة مخيفة ، تحرك الرجل الأزرق نحو (نور) ، وفريقه ، وتركزت عيناه الحمراوان بلون الدم على وجوههم ، وقرأ فيهما الجميع نداء الدم ، وصرخت (سلوى) :

ــ يا إلٰهى !! إنه يهاجمنا يا (نور) .

شعر (نور) أن العملية ستنهار بأكملها ، بسبب الخوف الذى انتاب الجميع لدى رؤيتهم هذا المسخ ، ذا الوجه الأزرق والعينين الدمويتين ، وفى غمرة حماسه ورغبته فى النصر ، اندفع (نور) نحو الرجل الأزرق ، وكال له لكمة أودعها كل ما يملك من قوة ، وبدأ الصراع .

* * *

هل جرَّب أحدكم أن يلكم حائطًا من الصلب بقبضته العارية ؟.. هذا تمامًا ما خُيِّل لـ(نور) أنه قد فعل ، فلقد هوى بكل ما يملك من قوة على فكِّ الرجل الأزرق بقبضته ، ولكنه شعر بقبضته تكاد تتهشَّم ،

دون أن يهتز صاحب الوجه الأزرق قيد أنمُلَة ، وكان لهذا تأثير مخالفٌ تمامًا لما كان ينتظره (نور) ، إذ أن هجومه هذا دفع مزيدًا من الرُّعب فى قلوب رفاقه ، وصحفية (أنباء الڤيديو) ، فأطلقت (سلوى) صرخة خوف وهى تهتف باسم زوجها ، وتراجعت (مشيرة) وهى تصرخ :

ــ كلَّا .. كلَّا .. هذا مستحيل .

وتردَّد (محمود) و (رمزى) لحظة ، ثم تبادلا النظرات ، واندفعا فى محاولة لمعاونة (نور) ضد خصمه ، وانقض الثلاثة ، (نور) و (رمزى) و (محمود) على الشبح الأزرق ، وشعر (نور) بقبضة فولاذية زرقاء ترفعه من سترته الجلدية ، وتلقى به على بعد ثلاثة أمتار ، وسقط (محمود) إثر ضربة فى صدره ألقت به عدة أمتار إلى الوراء ، وحاول (رمزى) أن يتفادى اليد الزرقاء المعروقة ، ولكن المسخ الأزرق جذبه من شعره ، وطوَّح به بعيدًا فى بساطة ، كما لو كان يقذف حجرًا صغيرًا ..

وتحرَّك الرجل الأزرق نحو (سلوى) ، التى تراجعت فى رعب هائل ، واحتبس صوتها من شدة الذُّعر ، ورأى (نور) زوجته فى هذه الحالة من الفزع ، فانطلق نحو الرجل الأزرق ، وقفز متعلِّقًا بعنقه من الخلف ، وكال له لكمة كالقنبلة فى مؤخرة عنقه ، ولكن الرجل لم يهتزّ ، أو يبدو عليه أى أثر للضربة القوية ، كل ما فعله هو أنه أدار ذراعه إلى الخلف ، وقبض على سترة (نور) ، ثم جذب هذا الأخير بقوة تكفى لرفع سيارة كاملة ، فانتزعه من خلفه وألقى به بعيدًا ، وسقط (نور) على ظهره وسط الحصى والحجارة الصغيرة ، وشعر بها تمزِّق سترته ولحمه ، ورأى الرجل الأزرق يواصل تقدُّمه نحو (سلوى) ، التى شحب وجهها حتى بدا وكأنه قد خلا تمامًا من الدماء ، وتسمَّرت قدماها فى مكانها ..

وفى محاولة أخيرة لإيقاف هذا الوحش المدمِّر ، أخرج (نور) مسدسه الليزرىّ ، وأطلق دفعة من أشعته القاتلة نحو الرجل .

ارتطمت دفعة الأشعة بمؤخرة عنق المسخ الأزرق ، ثم ارتدت عنها كما يحدث للضوء حينما يسقط على مرآة لامعة ، واستدار الرجل إلى (نور) ، وحدجه بنظرة نارية من عينيه الحمراوين بلون الدم ، نظرة تفيض غضبًا وقسوةً ، ثم تخلَّى عن متابعة (سلوى) ، وتحرَّك نحو (نور) بخطوات بطيئة مخيفة ، وعاد (نور) يصوِّب مسدسه إلى الرجل ، وبرغم كراهية (نور) الشديدة للقتل والدمار ، إلّا أن شيئًا ما فى أعماقه كان يصرخ أن قتل هذا الشيطان الأزرق هو حياة رفاقه .. وبلا تردُّد أطلق (نور) الدفعة الثانية من مسدسه الليزرىّ بين عينى الوحش الأزرق ، وأطلقت (مشيرة) صرخة مكتومة حينما ارتدت هذه الدفعة أيضًا ، دون أن تؤثر فى المسخ ، الذى أصبح على بعد خطوات قليلة من (نور) ، وأطلق (نور) دفعته الإشعاعية الثالثة بين ذراعى المسخ ، وفى حركة غاضبة ، أطاحت الكفّ الزرقاء المعروقة بمسدس (نور) ، ثم أطاحت به ذراعا المسخ فى قوة .

شعر (نور) بكلَّابتين من الفولاذ تحيطان بجسده ، وتعتصرانه اعتصارًا ، وبرغم جسده المفتول ، وعضلاته القوية ، وبرغم مقاومته الشديدة ، واللكمات القوية التى انهال بها على وجه الرجل وعنقه ، شعر (نور) بالوعى يفارقه ، وأصبح يتنفس فى صعوبة ، وازداد إظلام الدنيا من حوله ، وسمع زوجته (سلوى) تصرخ فى لوعة وجزع ، قبل أن يفقد الوعى تمامًا .

* * *

لا أحد يدرى كم مرَّ من الوقت خلال تلك الغيبوبة التى سقط فيها (نور) ، ولكنه حينما بدأ يشعر بالخدر يفارقه ، وبجسده يغادر تلك الدوامة المظلمة اللانهائية ، عجز عن فتح عينيه بسبب الضوء القوى المسلَّط عليهما ، فرفع كفَّيه يحمى عينيه من الضوء ، وفتحهما فى صعوبة ، ثم لم يلبث أن شهق فى دهشة ، حينما وجد نفسه جالسًا فى سيارته الصاروخية التى يقودها (رمزى) ، واعتدل (نور) فى جلسته وهو يتأمَّل

طريق الصعيد فى دهشة ، وسمع (سلوى) تقول فى صوت حنون :

ـ هل استيقظت يا (نور) ؟

التفت إليها (نور) فى دهشة ، وتأمَّل ملامحها الهادئة الباسمة ، ثم هتف :

ـ يا إلٰهى !! كيف نجونا جميعًا ؟

تطلَّع إليه (محمود) و (رمزى) و (سلوى) فى دهشة ، وسأله (رمزى) :

ـ نجونا من ماذا أيها القائد ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله فى حِدَّة :

ـ هل أصابكم شىء ما ؟.. إننى أسألكم عن ذلك الرجل الأزرق الذى هاجمنا و ....

قاطعته (سلوى) ، وهى تسأله فى حنان يمتزج بالقلق :

ـ هل أنت متعب يا (نور) ؟.. هل أصابك كابوس ما ؟

صاح (نور) فى حِدَّة :

ـ بل ماذا أصابكم أنتم ؟ هل نسيتم ما واجهناه فى وادى الرعب ؟

أوقف (رمزى) السيارة على جانب الطريق ، والتفت نحو (نور) يتأمَّله فى قلق ، قائلًا :

ـ صدِّقنى يا (نور) ، أنت تثير قلقنا بالفعل .

صاح (نور) فى حِدَّة :

ـ أى قلق هذا ؟ ولماذا تعاملوننى هكذا وكأننى مجنون ؟

تبادل الثلاثة النظرات ، ثم قال (رمزى) وهو يُرَبِّت على كتفه فى حنان :

ـ عزيزى (نور) ، إننا لم نواجه رجالًا زرقًا أو غيره ، لأننا ببساطة لم نصل إلى وادى الرعب ، بل لم نذهب حتى إلى (قنا) !!

* * *

٨ ـ حلم ليلة زرقاء ..

اخترقت عبارة (رمزى) أُذن (نور) كالرصاصة ، وانتفض جسده فى شدة قبل أن يحدِّق فى وجوههم ، صائحًا :

ـ ماذا تعنون بأننا لم نصل إلى (قنا) بعد ؟.. لقد ذهبنا صباح أمس إلى هيئة الآثار هناك ، وقدَّمنا مساعد رئيس الهيئة إلى دليل ، قادنا إلى حيث وادى (أولاد عمرو) ، وهناك لحقت بنا (مشيرة محفوظ) و ....

قاطعه (رمزى) ، وهو يغمغم فى لهجة أقرب إلى الشفقة :

ـ ربَّاه !! هل أنت محموم يا (نور) ؟

صرخ (نور) فى غضب :

ـ كفى يا رفاق ، إنكم تتعاملون معى كما لو كنت مصابًا بالهلوسة ، إننى أمتلك الصفاء الذهنى الكافى

للتمييز بين الحقيقة والخيال ، وكل ما حدث كان حقيقيًّا .

ساد صمت ثقيل داخل السيارة ، وتبادل أفراد الفريق نظرات حيْرَى ، ثم أدار (رمزى) محرِّكات السيارة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ حسنًا يا (نور) ، سيحسم رجال هيئة آثار (قنا) هذا الخلاف ، سنتوجَّه إلى هناك على الفور .

عقد (نور) حاجبيه ، وأطبق شفتيه وهو يراقب الطريق صامتًا ، وقد بدأ بصيص من الشك يتسرَّب إلى عقله ، ويسيطر على حواسه .

* * *

حدَّق رئيس هيئة آثار (قنا) فى وجه (نور) بدهشة ، ثم غمغم وهو يهزّ رأسه فى حيْرة :

ـ كلَّا أيها السادة .. من المؤكد أننى لم ألتق بهذا الرائد من قبل ، لا بالأمس ولا فى أى يوم آخر .

قال (نور) فى غضب :

ـ هكذا ؟!.. بِمَ تبرِّر إذن أننى أذكر ملامحك جيِّدًا ، بل أعلم أنك تضع علبة سجائرك وقدَّاحتك فى درج مكتبك الأيمن العلوى ، هذا ببساطة لأنك أشعلت سيجارة أمس أمامى .

ظهر مزيد من الدهشة ، والتوتُّر فى ملامح رئيس الهيئة ، وتمتم فى خفوت :

ـ هذا صحيح بالنسبة لعلبة السجائر والقدَّاحة ، وإن كنت لا أدرى كيف توصَّلت إلى ذلك ، فأنا واثق أننا لم نلتق مرة واحدة من قبل .

تبادل أعضاء الفريق نظرات الأسف والقلق ، ثم قال (رمزى) فى صوت آسف :

ـ تقبَّل اعتذارنا يا سيِّدى ، فيبدو أن أعصاب الرائد (نور) متوتِّرة و ....

قاطعه (نور) فى حِدَّة :

ـ مهلًا يا (رمزى) .

ثم التفت إلى رئيس الهيئة ، مستطردًا :

ـ أين مساعدك الشاب ؟.. هل ستدَّعى ألَّا وجود له ؟

رفع رئيس الهيئة حاجبيه فى دهشة ، وقال :

ـ بل هو موجود أيها الرائد ، سآمره بالحضور فورًا .

لم تكد تمضى لحظات ، حتى ظهر المساعد الشاب مجيبًا رئيسه ، وما إن رآه (نور) حتى تقدَّم إليه قائلًا :

ـ هل تذكرنى يا سيِّدى ؟.. لقد أرشدتنا أمس إلى دليل و ....

قاطعه المساعد الشاب ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ أمس ؟!.. ولكننى لم أرك سوى الآن يا سيِّدى .. إننا لم نتقابل مطلقًا من قبل .

ظهرت الدهشة فى عينى (نور) لحظات ، ثم لم تلبث أن تحوَّلت إلى غضب عارم ، ووجد نفسه ينفجر صائحًا :

— أنت كاذب ، كلكم كاذبون ، هذا مخطَّط لـ....

قاطعته (سلوى) ، وهى تقول فى إشفاق :

— حتى نحن كاذبون يا (نور) ؟

استدار إليها فى حِدَّة ، ثم تردَّد لحظة ، لوَّح بعدها بكفَّيه وهو يقول فى أسًى :

— إننى لم أعد أفهم شيئًا .. لم أعد أدرى ما أصابنى .

* * *

جلس (نور) فى حجرته بأحد فنادق (قنا) صامتًا ، يفكِّر فى عمق ، وإلى جواره جلست زوجته ، ورفيقاه (رمزى) ، و (محمود) ، ولمَّا طال الصمت قال (محمود) :

— هل يؤرقك ما حدث إلى هذا الحدّ أيها القائد ؟ إنه مجرَّد حلم .

نظر إليه (نور) فى صمت بضع لحظات ، ثم قال فى صوت خافت :

— لو أنه حلم ، فهو أكثر أحلامى قوةً يا (محمود) .. لقد تعرَّفت وجهى رئيس هيئة آثار (قنا) ، ومساعده الشاب ، وكل شىء حتى تفاصيل الحجرة .

قال (رمزى) :

— ربما هو نوع من أحلام التنبُّؤ بالمستقبل ، والتى تبدو لمن يراها وكأنها حقائق ، بكل ما فيها من مشاعر وأحاسيس ، حتى الألم والإجهاد ، إنها نوع من تفريغ كل ما يختزنه العقل الباطن من متاعب ، ثم هى أيضًا نوع من الإلهام الخارق للعادة ، الذى يأتى فجأة دون سابق انذار .

مطَّ (نور) شفتيه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

— ربَّما .

قالت (سلوى) ، وهى تمرّ بأناملها على شعر زوجها فى رقَّة :

— أنت تحتاج لبعض الراحة يا (نور) ، فأنت تجهد نفسك كثيرًا فى العمل .

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وقال :

ـ أنت على حق هذه المرة يا (سلوى) ، إننى أحتاج إلى بعض الراحة ، سأرقد فى الفراش ، وأشاهد برنامج نهاية الأسبوع و ....

قاطعته (سلوى) ، وهى تبتسم فى حنان :

ـ لقد كان هذا البرنامج أمس يا (نور) ، إننا يوم السبت لا الجمعة .

نظر إليها (نور) فى دهشة لحظة ، ثم لم يلبث أن ابتسم ابتسامة بدت لها غامضة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ السبت ؟. آه .. هذا صحيح .

ثم استرخى على فراشه ، وأسبل عينيه فى هدوء ، فنهض (رمزى) ، و (محمود) ، وقال الأخير فى مرح مصطنع :

ـ حسنًا أيها القائد ، سنتركك ترتاح قليلًا .. إلى اللقاء .

لوّح (نور) لهما بكفّه مودّعًا ، وقال لـ (سلوى) :

ـ أغلقى باب الحجرة ، واطلبى من إدارة الفندق عدم إرسال أيّة مكالمات يا عزيزتى .

ولم تكد (سلوى) تغلق الباب خلف (رمزى) و (محمود) ، وتتوجّه إلى الحجرة الثانية لطلب إدارة الفندق الآلية ، حتى قفز (نور) من فراشه ، وتناول سترته من فوق مسند المقعد القريب ، وأدناها من وجهه يفحص نسيجها فى دقّة واهتمام ، ولم يلبث أن تنهّد فى ارتياح ، وهو يستعيد مشهد صراعه مع الرجل الأزرق ، حينما ألقاه وسط الحصىّ والأحجار الحادّة ، فهناك فى ظهر السُترة الجلدية جرت عدة إصلاحات متقنة للغاية ، لإخفاء آثار بعض التمزّقات الصغيرة ، متقنة للغاية ولكنها لم تغب عن عين فاحصة كعين (نور) .

* * *

٩ ـ المواجهـة ..

انتظمت أنفاس (سلوى) ، بعد أن استغرقت فى نوم عميق إلى جوار (نور) .. ولم يكد هو يتأكَّد من نومها ، حتى نهض من فراشه ، وتسلَّل دون صوت إلى الحجرة الثانية داخل جناحه بالفنـدق ، وهنـاك نزع حزامـه من سروالـه ، ووضعـه فوق مائـدة تتـوسط الحجرة ، وأوصل طرفيه بعضهما ببعض ، بحيث صنع منه دائرة ، وضغط زرًّا صغيرًا يبدو كحلية أنيقـة فى الحزام ، ووقف صامتًا عاقدًا ذراعيه أمام المائدة .

وفى هدوء انبثقت أربعة خيـوط رفيعـة من أشعـة اللِّيزر ، من أربع نقاط متعامدة فى الحزام ، لتلتقى جميعها عند مركز الدائرة التى يصنعها ، وصنع التقاؤها ما يشبه ضبابًا متعدِّد الألوان ، ثم لم يلبث هذا الضبـاب أن

تكاثف ، مكوِّنًا صورة واضحة مجسَّمة للقائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية .

رفع (نور) يده بالتحية العسكرية ، على حين سأله القائد الأعلى :

ـ ماذا حـدث أيهـا الرائد ؟ .. هـل توصَّلت إلى شىء ما ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ لقد توصَّلت إلى أننا نواجه إناسًا غاية فى القوة والذكاء والخطورة يا سيِّدى ، وأنهم قد يمثِّلون خطـرًا لا على مصر وحدها ، بل على العالم أجمع .

ظهر مزيج من الدهشة والقلق على وجـه القائـد الأعلى ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !! إلى هذا الحد ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا سيِّدى .. والدليل على ذلك أنهم نجحوا فى إسقاط يوم كامل من ذاكرة كل من يحيطون بى .

صاح القائد الأعلى ، وقد تعاظمت دهشته :

ـــ يا إلهى !! ماذا تقول أيها الرائد ؟

أجابه (نور) :

ـــ سأخبرك بكل ما حدث يا سيِّدى ، وستقدِّر أن الأمر بالغ الخطورة بالفعل .

* * *

ساد الصمت بعض الوقت ، بعد أن انتهى (نور) من قصته ، ثم قال القائد الاعلى :

ـــ هل أنت واثق أنه ليس حلمًا أيها الرائد ؟

ابتسم (نور) فى ثقة ، وهو يقول :

ـــ لقد وصل بى الأمر إلى الشك فى هذا بعض الوقت يا سيِّدى ، ولكننى تنبَّهت فى اللحظة المناسبة إلى الخدعة ، لقد أسقطوا كل ما حدث أمس من ذاكرة رفاق ، ورئيس هيئة الآثار بـ (قنا) ، ومساعده الشاب ؛ وربما الدليل الذى قادنا إلى هناك أيضًا ،

ولكنهم عجزوا عن إسقاط اليوم من التاريخ ، وهذا ما لن يبلغه بشر أو حتى شيطان قط .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـــ ماذا تعنى أيها الرائد ؟

أجابه (نور) :

ـــ لا ريب أننى بعد أن فقدت الوعى فى الوادى الملعون ، تعرَّض رفاق لعملية سيطرة عقلية تشبه التنويم المغناطيسى ، أو شيئًا من هذا القبيل .. المهم أنهم تحت تأثير هذه السيطرة العقلية قصُّوا كل ما يتعلَّق بالفريق ، وعملية البحث عن قاتل الدكتور (وليد) ، قصُّوا كل ما فعلناه حتى وصلنا إلى الوادى الملعون .. وهكذا بدأ هؤلاء الشياطين الزرق فى محو هذه الأحداث من ذاكرة كل من اتصل بالأمر ، فى محاولة للحفاظ على سرِّ وجودهم .

سأله القائد الأعلى :

ـــ ألم يكن من الأسهل أن يقتلوكم ؟

ابتسم (نور) وقال :

ـــ كان هذا سيثير عاصفة من الشكوك الجديدة يا سيِّدى ، فهناك من لا يمكنهم الوصول إليه لمحو الحادث من ذاكرته ، مثلك مثلاً ، ورجال الشرطة ، وبعض من تابعوا الحادث عن قرب ، لذا فمن الأسهل تركنا أحياء وإعادتنا إلى الوراء يومًا كاملاً ، حيث نفشل هذه المرة فى العثور عمن يقودنا إلى حيث يختبئون ، ولكنهم لم يتمكَّنوا من إعادة الزمن ؛ لذا فقد انطلقنا بسيارتى الصاروخية من القاهرة صباح الجمعة ، ووصلنا بحسب ما حاولوا إيهامنا به إلى (قنا) ظهر السبت ، هذا اليوم الزائد هو ما محا من ذهنى كل أثر للشك فى حقيقة ما حدث ، فالسيارة الصاروخية تقطع المسافة من القاهرة إلى قنا فى ساعتين على الأكثر ، لا فى يوم وبعض يوم ، ثم إنه هناك ما حدث لسُترتى ، لقد تمزَّقت فى أثناء الصراع مع الرجل الأزرق ، حينما ألقى بى فوق الحصىَ والحجارة الحادَّة ، ولكنهم مداراةً للأمر ، قاموا بإصلاحها فى مهارة وإتقان ،

ولكن آثار الإصلاح لم تزل واضحة للعين الفاحصة المدقِّقة .

ساد الصمت لحظة ، ثم عاد القائد الأعلى يسأل :

ـــ لم تركوك دون أن يمْحوا الأمر عن ذاكرتك أيضًا ؟

مطَّ (نور) شفتيه وهزَّ كتفيه ، وهو يقول :

ـــ ربما لأننى كنت فاقد الوعى ، أو ربما ليوهمونى بالجنون ، مما يدفعنى إلى الخلود للراحة ، والتراجع عن بحث الأمر بأكمله .

عاد الصمت يسود مرة ثانية ، ثم قال القائد الأعلى فى هدوء وصرامة :

ـــ أنا أصدِّقك أيها الرائد ، أصدِّق كل كلمة نطقت بها ؛ لأن ذلك يتفق تمامًا مع حقيقة مخيفة .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأل :

ـــ أيَّة حقيقة يا سيِّدى ؟

أجابه القائد الأعلى :

ـ حقيقة أن (مشيرة محفوظ) الصحفية الشهيرة بجريدة (أنباء الفيديو) المرئية ، قد ذهبت خلفكم إلى (قنا) مساء أمس ، ثم انقطعت أخبارها منذ ذلك الحين ..

* * *

مضت فترة طويلة من الصمت المفعم بالقلق والتوتر ، قبل أن يهتف (نور) :

ـ إذن فهى لم تعد إلى منزلها !! .. لقد كنت أظنهم أفقدوها الذاكرة أيضًا ، وتركوها تعود .

ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وأغمض عينيه وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !! يا للبشاعة !! هل ذهبت المسكينة ضحيَّة لهؤلاء الوحوش الزرق ؟

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، وهو يقول :

ـ من يدرى يا (نور) ؟ لعلهم يحتاجون إليها لإجراء بعض التجارب ، أو ما يشبه ذلك !

قال (نور) فى حزم :

ـ سأبحث عنها يا سيِّدى ، سأفعل المستحيل للبحث عنها ، حتى لو قاتلت هؤلاء الشياطين الزرق فى عقر دارهم .

قال القائد الأعلى محذِّرًا :

ـ احترس يا (نور) ، إننا لا نعلم شيئًا بعد عن طبيعة هؤلاء الزرق .

بدت كلمات (نور) حادة كالسيف ، وهو يقول :

ـ يكفى أن نعلم أنهم قتلة يا سيِّدى ، ألَمْ يقتلوا الدكتور (وليد) ؟

صمت القائد الأعلى مفكِّرًا بعض الوقت ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، قائلًا :

ـ حسنًا يا (نور) وفقك الله .. ولكن حاول أن تتحاشى المخاطرة غير المحسوبة .

أجابه (نور) فى هدوء وقوة :

ـ سأفعل يا سيِّدى بإذن الله .

ابتسم القائد الأعلى ابتسامة أقرب إلى الرِّثاء ، على حين بدأت صورته المجسَّمة تتحوَّل إلى ما يشبه الضباب ، حتى تلاشت وسط مركز الدائرة ، وانسحبت أشعة اللِّيزر الأربعة إلى نقاط انطلاقها ، وساد الصمت تمامًا فى الحجرة ، ثم أسرع (نور) يرتدى سرواله وقميصه ، وسترته الجلدية ، وعقد الحزام حول وسطه ، ثم مدَّ يده يبحث عن مسدسه اللِّيزرىّ ، ولمَّا لم يجده ظهرت الدهشة على وجهه وهو يغمغم :

ـ أين ذهب هذا السلاح اللَّعين يا تُرى ؟ .

وفجأة .. سمع صوت زوجته تقول فى لهجة أقرب إلى الشماتة :

ـ هل تبحث عن هذا ؟

استدار (نور) إلى مصدر الصوت فى حركة حادَّة ، ثم لم يلبث وجهه أن اكتسى بمزيج من الدهشة والضيق ، فقد وقع بصره على زوجته (سلوى) ،



تصوِّب إليه مسدسه اللِّيزرىّ ، ومن عينيها تطل نظرة نارية غاضبة ، تنبئ بأنها لن تتردَّد لحظة واحدة فى قتله .. قتل زوجها .

* * *



١٠ ــ الإخوة الأعداء ..

ظل (نور) صامتًا يحدِّق فى وجه زوجته بعض الوقت ، كانت تبدو وكأن الكراهية والحقد هما اللذان يجريان فى عروقها مجرى الدم ، لم تكن فى حالتها الطبيعية ، بل كان هناك ما يسيطر على عقلها ، ويدفعها لقتل أقرب الناس إليها .. زوجها .

حطَّم (نور) حاجز الصمت بينهما فجأة ، بقوله :

ــ هل ستقتلين زوجك يا (سلوى) ؟

خرج من بين شفتيها صوت عجيب أجشّ ، لا يشبه على أى نحو صوتها الحقيقى ، يقول بلهجة تفيض كراهيةً :

ــ لقد اقتربت من موطن الخطر ، ولابدَّ أن تموت أيها الأرضى .

اتسعت عينا (نور) دهشةً حينما سمع كلمة (الأرضى) هذه ، وتفتق ذهنه فجأة عن نوع خصومه ،

وشاهد زوجته تضغط زناد مسدسه الليزرىّ دون تردُّد .. شاهد أصابعها تتجه إلى الضغط على الزِّناد ، وقرَّر أن يتحرَّك .. قرَّر أن ينقذ الكرة الأرضية ، حتى ولو أدَّى الأمر إلى قتل أحب المخلوقات إليه فى الكون بأكمله .. زوجته .

* * *

انطلقت دفعة أشعة اللِّيزر من مسدس (نور) ، الذى تطلقه (سلوى) ، بعد جزء من الثانية من تحرُّك (نور) ، الذى قفز إلى اليسار ، وانحنى إلى أسفل ، وراوغ يمنةً ويسرة ، ثم انقض على زوجته ، يقبض على معصم يدها الممسكة بالمسدس الليزرىّ ، ويشل حركتها بكل ما يملك من قوة ..

أدهشه الأمر كثيرًا ، فبرغم ضآلة جسد (سلوى) ، وبرغم قوته البدنية التى تفوقها بمراحل شتى ، إلا أنها قاومته فى قوة مذهلة ، قوة تفوق حتى ما يمكن أن تنتجه عضلاتها ، ولو تمزَّقت فى النهاية ، ووجد (نور)

نفسه مضطرًا لحشد كل قواه فى محاولة التغلُّب على زوجته ، التى تحوَّلت إلى نَمِرَة شرسة مفترسة ، وهى تجاهد لإفلات قبضتها من قبضته ، وإطلاق أشعة الليزر على رأسه ..

وأخيرًا دفع (نور) كل المشاعر الحلوة التى تربطه بزوجته بعيدًا ، وكال لها لكمة قوية جعلتها تصرخ فى ألم ، ثم سقطت فاقدة الوعى .

نهض (نور) والحَيْرَة تمتزج بالألم والأسى فى ملامحه ، وحمل زوجته التى فقدت وعيها فى صمت إلى فراشها ، حيث أرقدها فى هدوء ، وانتزع مسدسه الليزرىَّ من قبضتها ، ووقف صامتًا إلى جوار الفراش ، ثم غمغم فى حزن :

ـ سأعود لأخلِّصك من كل هذا يا عزيزتى ، سأعود بعد أن أنتصر على أصحاب الوجوه الزُّرق هؤلاء .

وفجأة .. انتفض جسده فى قوة ، وشعر بحنق بالغ يملأ أطرافه ، فقد سمع من خلفه صوتًا أجشّ ، مشابهًا

لذلك الصوت المقيت ، الذى خرج من بين شفتى (سلوى) ، يقول فى نغمة تفيض كراهيةً وبغضًا :

ـ إنك لن تخطُو خطوة واحدة أيها الرائد .

استدار (نور) فى هدوء إلى مصدر الصوت ، وتطلَّع فى حزن إلى (رمزى) ، و (محمود) ، اللذين وقفا يسدَّان باب الغرفة ، وفى عيونهما كل علامات الشُّرور والكراهيَّة .. كان على (نور) أن يعلم أنه لكى يصل إلى أصحاب البشرة الزرقاء ، عليه أن يواجه رفاقه ، وأن يعاملهم هذه المرة كالأعداء .

* * *

لم يكن أى من (رمزى) و (محمود) يحمل سلاحًا ، ولكن (نور) كان يعلم من صراعه مع (سلوى) ، أن عليه أن يواجه شابين ، تضاعفت قواهما إلى نحو مخيف ، وأن صديقيْه لن يألُوَا جهدًا لقتله ، إذا ما أمكنهما ذلك ، وأن أحدهما لن يذرف عليه دمعة واحدة ، فى ظل هذه السيطرة العقلية ، التى

حوَّلتهما إلى مخلوقين غاضبين شرسين ، لاهمَّ لهما إلا القتل والدمار ، وتحطيم بنى جنسهم ، من أجل أن يسود الجنس الأزرق القادم من أعماق الكون .

وفى هدوء من يعلم عدم جدوى النقاش ، اتخذ (نور) وضعًا قتاليًا ، وباعد ما بين ساقيه ، وضم قبضته فى قوة وهو ينتظر الخُطوة الأولى من صديقيه .

وبغتة بدأ القتال ، وانقض (رمزى) ، و (محمود) على (نور) كالصاعقة ، وأطلق هذا الأخير صرخة قتالية قوية ، وهو يستقبل هجومهما بلكمة كالقنبلة وجَّهها إلى فكِّ (رمزى) ، الذى سقط إثر اللكمة ، إلى جوار الفراش الذى ترقد فوقه (سلوى) ، وفى نفس اللحظة كان (نور) يتفادى لكمة قوية من قبضة (محمود) ، ثم يهوى بقبضته على فكِّ هذا الأخير ، ويعقِّب ذلك بلكمة ثانية فى معدته ، وسقط (محمود) فى نفس اللحظة التى نهض فيها (رمزى) ، وتجلَّت

الكراهية واضحة فى عينه ، وهو يركل (نور) فى معدته بكل قواه .

شعر (نور) وكأن مطرقة حديدية قد أصابت معدته ، وتأوَّه فى قوة ، وكاد يسقط أرضًا ، ولكنه تماسك فى إصرار عجيب ، ربما لأنه كان يعلم أن مصير الأرض بأكملها قد يتوقَّف على نتائج هذا الصراع ، فشبك أصابع كفَّيه ، وضم قبضتَيْه بعضهما إلى بعض ، وهوى بهما على وجه (رمزى) كصفعة قوية ، زلزلت كيان هذا الأخير ، وألقته أرضًا فاقد الوعى ..

من القسوة أن يضطر الإنسان يومًا لمقاتلة أقرانه من بنى البشر ..

من المؤلم أن يكون هذا هو طريقه الوحيد للحياة ..

ولكن الأكثر قسوةً وألمًا أن تدفع الظروف رجلًا ، لمقاتلة زوجته ، وأعز رفيقين له فى الحياة ، من أجل إنقاذهم ..

من المحزن أن يجد الإنسان نفسه مضطرًا لتدمير أقرب الناس إليه ، فى سبيل إنقاذ كوكبه بأكمله ..

ومن الأكثر حزنًا أن يكون هذا الإنسان رجلًا ، يكره القسوة والتدمير ، مثل الرائد (نور الدين محمود) ...

دارت هذه الأفكار فى رأس (نور) ، وهو يتأمَّل رفاقه الثلاثة ، الذين أفقدهم الوعى فى قتال شرس ، واقترب من زوجته فى حزن ، ومسح شعرها بأطراف أصابعه ، وأغمض عينيه فى حزنٍ وألم ، ثم فتحهما وقد امتلأتا ببريق عزم وإصرار ، ودسَّ مسدسه الليزرىّ فى الجيب الخاص به داخل سترته الجلدية ، وانطلق فى طريقه لتحدِّى الموت الأزرق فى الوادى الملعون .

* * *



١١ ــ من أجل كوكب الأرض ..

توقَّفت سيارة (نور) الصاروخية فى وادى (أولاد عمرو) ، بعد منتصف الليل بساعة كاملة ، وهبط منها (نور) وهو يقبض على مسدسه اللِّيزرىّ فى قوة ، وظل واقفًا أمام سيارته فى صمت وصرامة بضع لحظات ، حتى اعتادت عيناه ضوء النجوم الضئيل ، الذى يشترك مع جزء من القمر فى إضاءة الوادى ، ثم تحرَّك فى خطوات واسعة رشيقة نحو المنطقة الخالية من الحصَى ، ووقف يتأمَّلها لحظة ، ثم تلفَّت حوله وهو يقول لنفسه :

ــ إنهم لاينبشون الأرض كالجرذان ، كلما أرادوا الدخول أو الخروج ولاشك ، أراهن أنه هناك مدخل آخر .

دار بعينيه مرة أخرى فى أرجاء المكان ، ثم توقَّفت نظراته عند كهف تخفيه الظلال ، فتقدَّم نحوه فى حذر ،

وتأمّل مدخله فى اهتمام بعين فاحصة خبيرة ، ثم أخرج من سترته مصباحًا صغيرًا ، وأضاءه لِيتفحَّص جدران الكهف ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى ظفر ، حينما عكست بقعة معدنية صغيرة ضوء مصباحه ، فغمغم وهو يخرج منظارًا غريب الشكل ، له عدسات حمراء اللون :

ــ هذا هو المدخل ولاريب ، إنهم يحيطونه بوسائل أمن لكشف الدخلاء .

وضع (نور) المنظار الصغير فوق عينيه ، فظهرت أمامه خيوط ضوئية حمراء ، تمتد فى شكل شبكى غير مرئى للعين المجرَّدة ، وتكاد تسد مدخل الكهف تمامًا ، فعاد (نور) يغمغم وهو يتقدَّم نحو الشبكة فى حذر :

ــ إنهم يستخدمون أسلوبًا بدائيًا ، سيعاوننى هذا كثيرًا .

وفى رشاقة ومهارة رجل مخابرات علمية تلقى تدريبات مكثَّفة ، عَبَر (نور) بين فراغات الشبكة الضوئية الدقيقة ، وندَت عنه تنهيدة عميقة ، حينما وجد

نفسه على الجانب الآخر من شبكة الأمن الضوئية ، فعاد يشعل مصباحه ، وتقدَّم عَبْر الكهف المظلم فى خطوات حذرة ، وسار طويلًا حتى وجد أمامه بابًا من الصلب ، له لون سماوى فاتح ، فأخذ يتفحَّصه فى اهتمام ، إلى إن عثر على مستطيل صغير ، يختلف لونه بعض الشىء عن باقى لون الباب .

وفى جرأة منقطعة النظير ، وبلا أدنى تردّد ، ضغط (نور) المستطيل الصغير ، ورأى الباب المعدنى ينشق نصفين ، يتحرَّك كل منهما فى اتجاه مخالف للآخر ، ليفتح أمام (نور) مشهدًا ، جعل فكّه السفلى تسقط فى ذهول ، وعينيه تنفرجان فى دهشة ، فقد رأى أمامه ممرًّا طويلًا خاليًا ، من معدن عجيب ، يشع ضوءًا أزرق شاحبًا ، بعث فى نفسه شعورًا بالخوف والرعب ، وأصبح يعلم وهو يخطو داخل الممر أنه يضع قدمه داخل مركز قيادة أصحاب البشرة الزرقاء .

* * *

تحرَّك (نور) فى قلق ورهبة داخل الممر الأزرق ، وهو يتلفَّت يمنةً ويُسرة فى توتُّر ، حتى رأى ضوءًا قويًا ، يشع من حجرة فى نهاية الممر ، فالتصق بالجدار وهو يتحرَّك نحوها فى حذر .

ملمس الجدار نفسه بعث فى جسده رعدة عجيبة ، فقد كان الجدار مصنوعًا من معدن ولا شك ، ولكنه معدن مخملى الملمس ، بارد كالثلج ، يتموَّج تموُّجات خافتة غير ملحوظة ، ولكنها محسوسة ، محسوسة إلى حدٍّ يثير الرُّعب فى قلب أشد الرجال بأسًا .

تجاهل (نور) ، أو هو حاول أن يتجاهل ذلك الملمس المقزز ، وهو يتقدَّم نحو الحجرة المفتوحة ، وحينما وجد نفسه إلى جوارها تمامًا ، خاطر بالنظر داخلها ، ولم يكد يفعل حتى هبط قلبه من بين ضلوعه إلى قدميه ..

كان يطل على حجرة واسعة ... واسعة جدًّا ، أو هى صالة عميقة رحبة ، مضاءة بلون يتراوح مابين الأزرق والبنفسجى .. جدرانها عبارة عن مجموعة من

شاشاتْ الرَّصد ، تنقل مشاهد من جميع أنحاء العالم ، بالإضافة إلى خريطة ضخمة للكرة الأرضية ، توزَّعت فوقها مجموعة من المصابيح الزرقاء الصغيرة ، استنتج (نور) من توزيعها أنها تشير إلى مراكز أصحاب الوجوه الزُّرق ، فى أنحاء الكرة الأرضية المختلفة .

مراكز كثيرة تغطى العالم أجمع ، وتؤكد قوة وانتشار أصحاب البشرة الزرقاء ، الذين امتلأت بهم الردهة الواسعة ، وهم يتحرَّكون فى عباءاتهم الزرقاء ، بوجوههم ذات اللون المخيف ، وعيونهم الحمراء بلون الدم ، فى مشهد من أكثر المشاهد التى وقعت عليها عينا (نور) إثارة للرُّعب والرهبة .

لم يكن هذا المشهد هو ما أسقط قلب (نور) بين قدميه ، وإنما كان مشهدًا آخر ، مشهد زوجته فوق أحد شاشات الرَّصد ، شاردة النظرات ، تتحدَّث بلغة غير مفهومة إلى أحد أصحاب الوجوه الزُّرق ..

لم يفهم (نور) كلمة واحدة من ذلك الحديث ،

ولكنه استنتج على الفور أن زوجته تمدّ أصحاب البشرة الزرقاء بكل معلوماتها عنه ، وشعر بغضب عارم يموج فى أعماقه .. غضب على هؤلاء الغزاة ، الذين حوّلوا زوجته ورفيقيه إلى ألدّ أعدائه .. أعداء يسعون إلى هدف واحد ... موته .

* * *

لم يدر (نور) كم مرّ من الوقت وهو يراقب الرجال الزُّرق ، وهم يتحرّكون حركة دائبة داخل الردهة الواسعة ، ولكنه قرّر فى النهاية ألا يدّخر وسعًا فى سبيل كشف هذا الغزو للعالم أجمع ، وكانت الخطوة الأولى فى رأيه هى نقل تلك الخريطة ، التى تحوى المراكز السرّية للرجال الزُّرق إلى العالم ، وتحذيره من الغزو القادم .

وبلا تردُّد ، نزع (نور) حزامه ، وانتزع الحِلْية الصغيرة فى مقدمته ، كانت تلك الحِلْية عبارة عن آلة تصوير صغيرة ، مجهَّزة بفيلم دقيق ، يصل حجمه إلى ربع حجم (الميكروفيلم) المعروف فى القرن العشرين ،

ولكنه حسّاس إلى درجة تكفى لالتقاط صور واضحة فى حجرة شديدة الإظلام ..

وضع (نور) آلة التصوير الدقيقة فوق عينيه ، وصوَّب عدساتها شطر الخريطة الكبيرة ، وضغط الزّر الصغير أعلاها ، والتقط صورة واضحة للخريطة ، وصدر من آلة التصوير صوت خافت .. خافت للغاية ، ولكن يبدو أن آذان أصحاب الوجوه الزُّرق فائقة الحساسية ، فقد استدارت وجوههم جميعًا نحو (نور) ، وتألّقت فى عيونهم الحمراء بلون الدم نظرات غاضبة ، شعر بها (نور) تخترق جسده .. وقبل أن يتحرّك (نور) حركة واحدة ، انطلق نحوه شعاع بنفسجى دقيق ، لم يشك لحظة واحدة فى أنه يحمل إليه الموت .. الموت وحده من أجل كوكب الأرض .

* * *

١٢ ـ أُقتُلْ أو تُقْتَل ..

شقَّ الشعاع البنفسجى القاتل طريقه نحو (نور) ، الذى تحرَّك فى سرعة ، محاولًا الإفلات من هذا المصير ، ولكن هيهات أن تفُوق سرعته سرعة شعاع ضوئى ..

أصابت الأشعة هدفها .. أو هى على وجه الدِّقة وصلت إلى الهدف ، ولكن شيئًا صغيرًا حال بينها وبينه ، وليس هذا الشىء سوى آلة التصوير الدقيقة التى يمسك بها (نور) .

ارتطم الشعاع البنفسجى بآلة التصوير ، التى تألَّقت فجأة بلون كالذهب ، وسرَت حرارة شديدة فى أنامل (نور) ، فأفلَت آلة التصوير من يده فى ألم ، ورآها تتحوَّل فى جزء من الثانية إلى كومة من الرَّماد ، تناثرت حوله ناعمة ..



وانطلق يعدُو بكل ما يملك من قوة ، نحو الباب المعدنى المفتوح ، ووراءه تصاعدت أصوات الخطوات البطيئة الثقيلة ، لأصحاب الوجوه الزُّرق ..

فقد (نور) آلة التصوير .. تحطَّمت خُطَّته قبل أن تبدأ .. لم يعد أمامه سوى الهرب .. الهرب من الموت الأزرق .

دار (نور) على عقبيه ، وانطلق يعدُو بكل ما يملك من قوة ، نحو الباب المعدنى المفتوح ، ووراءه تصاعدت أصوات الخطوات البطيئة الثقيلة ، لأصحاب الوجوه الزُّرق ، وبدأ الباب المعدنى ينزلق ، فى طريقه لالتقاء جانبيه ، وصنع صوت انزلاقه معزوفة رهيبة ، بالاشتراك مع صوت الخطوات البطيئة .

ألقى (نور) كل قوته ، ورغبته فى إنقاذ كوكبه فى عضلات ساقيه ، فى محاولة لدفعهما دفعًا إلى الإسراع نحو الباب المعدنى ، قبل أن تضيق فرجته ، ويحجزه خلفه .

شعر بجسده يتحوَّل تدريجيًّا إلى آلة للعدوّ .. وفى رأسه ماجت فكرة واحدة .. الهرب .. الهرب .

مرق إلى جوار أذنه اليمنى شعاع قاتل ، وارتطم ثان بالباب المعدنى ، ولكنه لم يؤثر فيه مطلقًا ، وازداد

اقتراب جانبى الباب ، وانطلق شعاع ثالث ورابع ، وأصبح الأمل الوحيد فى النجاة ، هو عبور الفتحة التى تضيق بسرعة ، بين جانبى الباب .. وقفز (نور) .. قفز وهو يعلم أنه أمام خيارين : العبور .. أو الموت .

* * *

عوامل شتى تكون دائمًا الحد الفاصل بين الحياة والموت ، خيط رفيع هذا الذى يصل بينهما ، خيط واه ، سريع التمزُّق ، سهل القطع ...

فلو أن (نور) أكثر بدانةً ، ولو أنه أثقل حركةً ، أو أنه جبان رعديد ، ما كتبت له الحياة فى هذه الليلة ..

فقد جاءت قفزته رائعة رشيقة ، وسط مطر قاتل من الأشعة البنفسجية ، وعَبَر جسده من الفتحة الصغيرة ، كقطعة من الخبز من بلعوم ضيق ، وشعر بجسده يحتك بجانبى الباب ، ولكنه لم يتوقف ، وحينما التقى الجانبان ، كان هو فى الجانب الآمن من الباب ، فقفز واقفًا على قدميه ، وأطلق ساقيه للريح .. ولم يكد يعبر شبكة ضوء

الأمن حتى انطلقت أصوات عجيبة ، مخيفة فى أنحاء الكهف ، وسمع صوت الباب المعدنى يفتح من بعيد ، والخطوات البطيئة الثقيلة تقترب منه ، وتسعى إلى قتله .

قفز (نور) فوق الصخور والأحجار ، التى تحيط بمدخل الكهف ، وعَبرَ المنطقة العارية من الوادى الملعون بقفزات واسعة ، ثم ألقى جسده خلف أزرار القيادة بسيارته الصاروخية ، وأدار المحرِّك النفاث ..

صدرت زمجرة خافتة من السيارة ، ثم عادت إلى الصمت ، دون أن يرتفع هدير المحرِّك النفَّاث كالعادة .. وعاد (نور) يدير أزرار الإطلاق ، وهو ينقل بصره بينها وبين مدخل الكهف ، الذى أضاء فى قوة ، وبدت على عتبته ظلال زرقاء تتحرَّك فى خطوات بطيئة رهيبة ..

ويبدو أن مشهد الرجال الزُّرق قد أثار رعب السيارة الصاروخية نفسها ، فقد دار محرِّكها فور ظهور الظلال ، وانطلق بها (نور) كالصاروخ ، متفاديًا

خمسة خيوط من الأشعة البنفسجية القاتلة ، ولم يكد يعبُر حلقة الجبال المحيطة بالوادى الملعون ، حتى صاح فى انفعال يمتزج بتوتُّر بالغ :

ـــ تُرَى .. هل سيتحوَّل الأمر إلى مطاردة صاروخية ؟ .. أم أن هؤلاء الممسوخ لا يغادرون وكرهم مطلقًا ؟

زاد من سرعة السيارة ، وهو يراقب الشاشة الصغيرة ، التى تنقل إليه المشهد خلفه ، ولكنه لم يلمح ما يشير إلى المطاردة ، فعقد حاجبيه وهو يغمغم :

ـــ عجبًا !! .. لقد تركونى أفلت هكذا ببساطة .

حاول أن يجد تفسيرًا منطقيًا لذلك ، ولكن ذهنه المشوش عجز عن ترتيب الأمور .. فمد يده إلى حزامه وهو يغمغم :

ـــ حسنًا .. فلندع التفسير لما بعد ، ولنشرح الأمر أولًا للقائد الأعلى .

شعر بغضب عارم حينما كشف عدم وجود حزامه ، وتذكر أنه نسيه هناك فى وكر الرجال الزُّرق ، وظهرت على ملامحه علامات ضيق شديد ، إذ كان هذا الحزام هو وسيلة الاتصال الوحيدة بينه وبين القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، إلَّا أنه لم يلبث أن تغلَّب على هذا الضيق ، وهو يتمتم :

ـــ فليكن .. كل ما فى الأمر هو أننى سأضطر إلى الذهاب بنفسى ، وأعتقد أن هذا أفضل فى الوقت الحالى .

* * *

استغرقت الرحلة من (قنا) إلى القاهرة ساعة واحدة ، بسيارة (نور) الصاروخية ، وكانت عقارب ساعته الذَّرِّية تشير إلى الثانية وخمس دقائق صباحًا ، حينما توقَّفت سيارته أمام مبنى صغير ، تحمل لافتته اسم شركة مقاولات مغمورة ، فقفز من سيارته وصعد فى الدرجات الثلاث أمام الباب فى خفَّة ، ثم دقَّ الباب فى لهفة واضحة .

مضت بضع لحظات قبل أن يُفتَحُ الباب الصغير ، ورأى (نور) أمامه رجلًا هادئًا ، تأمَّله فى برود ، ثم قال :

ـــ الشركة مازالت مغلقة يا سيِّدى ، إننا نبدأ عملنا فى السابعة صباحًا .

أجابه (نور) فى خشونة :

ـــ هذا لايهم ، فأنا أحد العاملين هنا برتبة رائد .

تفرَّس الرجل ملامح (نور) فى هدوء وروية ، ثم سأله :

ـــ هل لديك ما يؤكد ذلك ؟

قال (نور) فى حدَّة :

ـــ ماذا أصابك يا (عبد القادر) ؟ .. ألا تعرفنى جيِّدًا ؟

عقد (عبد القادر) كفَّيه خلف ظهره ، وقال فى هدوء :

ـــ لقد انتشرت عمليات تغيير الملامح ، وأصبحت رخيصة الثمن ، والأوامر هى الأوامر .

أخرج (نور) بطاقته فى حدّة ، وناوله إيّاها ، وتناولها (عبد القادر) فى هدوء ، ثم دسّها فى تجويف أسطوانى صغير أسفل جهاز مستطيل الشكل ، وهو يقول :

ـــ ينبغى أن تعتاد مثل هذه الإجراءات أيها الرائد (نور) ، فهى برغم سخافتها تقى الإدارة من أى محاولة للتجسّس .

ثم أعاد إليه بطاقته وهو يقول مبتسمًا :

ـــ حسنًا .. البطاقة سليمة ، سنجرى الآن توزيع المسام فى بصماتك (*) .

تركه (نور) يقوده إلى جهاز كشف الشخصية عن طريق توزيع المسام العرقية ، وهو يقول فى ضجر :

ـــ والله لقد سئمت هذه الأساليب إلى حدّ الموت يا (عبد القادر) .

(*) يختلف توزيع المسام العرقية تمامًا من شخص إلى آخر ، حتى أن فحص هذا التوزيع يعطى نتائج أكثر دقة وسرعة من نتائج فحص بصمات الأصابع ، وهناك اتجاه حديث إلى اللجوء إليها بدلًا من الطرق القديمة .

ضحك (عبد القادر) ، وهو يقول :

ـــ البطاقة المغناطيسية يمكن سرقتها ، أو حتى أخذها عنوة من الشخص المراد انتحال شخصيته ، أما المسام فلا يمكن تغييرها مهما بلغ العلم من سطوته .

حاول (نور) أن يبتسم ، ولكن كل ما يجيش به صدره عجز عن ذلك ، فاكتفى بأن ألصق راحته باللوح الشفّاف ، المثبّت فوق جهاز فحص المسام ، وسمع (عبد القادر) يقول فى بساطة :

ـــ لن يستغرق ذلك أكثر من ثانية واحدة يا سيادة الرائد ، سيضىء المصباح الأخضر ، وأسمح لك بعدها بالدخول و ....

وقبل أن يتم عبارته ، اتسعت عيناه ذهولًا ، ولم يكن حال (نور) بأقل من ذلك ، إذ أن المصباح الأخضر ظل صامتًا ، على حين انبعث من جهاز فحص المسام أزيز متقطّع ، وتحوّل اللّوح الشفّاف إلى اللون الأحمر

المتألق ، وفوق شاشة الجهاز تكوَّنت كلمات مذهلة تقول :

ـ شخص زائف .. غير مسموح بدخوله .. يفضَّل إلقاء القبض عليه ..

وفى لمح البصر تغلَّب (عبد القادر) على ذهوله ، وشهر مسدسه اللّيزرىّ فى وجه (نور) وهو يهتف غاضبًا :

ـ من أنت أيها المخادع ؟ .. اعترف أو أذيب رأسك بأشعة مسدسى هذا .

* * *



١٣ ـ خيوط العنكبوت ..

لم يكن هناك مجال للتفكير أو التفسير ، كان المهم هو اجتياز هذه العقبة المفاجئة ، التى تسد الطريق إلى إعلام العالم بالغزو الأزرق ، وكان لابدَّ من اتخاذ خطوة جريئة سريعة ، أو ينتهى كل شىء .. واتخذ (نور) هذه الخطوة .

تحرَّك فى رشاقة وسرعة ، فركل المسدس الليزرىَّ الذى يمسك به (عبد القادر) ، ثم هوى على فكِّ هذا الأخير بثلاث أو أربع لكمات متوالية قوية ، وقبل أن يسقط (عبد القادر) أرضًا كان (نور) قد اجتاز الباب إلى الخارج ، وقفز فى سيارته الصاروخية ، ثم أطلق لها العنان مبتعدًا .

غُصَّ حلقه وهو يفكِّر فيما أصابه ، وكادت دمعة حزينة تفلت من مآقيه ، ودار فى ذهنه سؤال محيِّر .. أين يذهب ؟ وماذا يفعل ؟ ..

شعر وكأن الطرقات كلها قد سُدَّت حوله ، زوجته ، رفاقه ، زملاء المخابرات العلمية .. كل الطرق ..

وفجأة .. ومض فى عقله طريق واحد .. طريق إلى الرجل الوحيد الذى يمكنه أن ينقذه أو يعاونه ، وبلا تردُّد انطلق (نور) إلى منزل هذا الرجل .

* * *

قفز الدكتور (محمد حجازى) ـــ كبير الأطباء المصريين ـــ من فراشه فزعًا ، وأسرع نحو شقته الصغيرة إثر رنين جرس الباب ، وضغط زرًّا صغيرًا سمح له برؤية الطارق ، عَبْر عدسات الفيديو ، ولم يكد يفعل حتى فتح الباب وصاح :

ـــ (نور) ؟!.. ماذا أصابك ؟.. إنك تبدو منهكًا للغاية .

قال (نور) ، وهو يعبر باب المنزل بخطوات متهالكة :

ـــ إنه أمر خطير .. خطير للغاية يا دكتور (حجازى) ، ولقد أتيت أنشد تعاونك .

صاح الدكتور (حجازى) ، وهو يقوده إلى أريكة واسعة فى صدر المنزل :

ـــ على الرحب والسعة يا (نور) ، سَلْ ما بدا لك .

شرح (نور) الأمر فى كلمات موجزة سريعة ، وظلت ملامح الدكتور (حجازى) جامدة وهو يستمع إليه ، حتى لقد ظن (نور) أنه لا يصدِّق ، فهتف بعد أن انتهى من قصته :

ـــ لماذا تقف ساكنًا هكذا يا دكتور (حجازى) ؟.. ألا تصدِّق ما أقول ؟

لم تتغيَّر ملامح الدكتور (حجازى) الجامدة لحظات ، ثم هزَّ كتفيه وقال :

ـــ لقد عملت معك طويلًا لأصدِّقك يا (نور) ، ولكن هناك عدة نقاط مازالت تحتاج إلى تفسير .

سأله (نور) ، وهو يلقى ظهره على مسند الأريكة :

ـ سَلْ ما بدا لك يا دكتور (حجازى) ، وسأفسر كل ما تعجز عن فهمه .

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم سأله :

ـ من هم مثلًا أصحاب الوجوه الزُّرق هؤلاء ؟

قال (نور) ، وهو يقاوم لتظل عيناه مفتوحتين :

ـ غزاة من كوكب آخر يا دكتور (حجازى) ، يسعون للسيطرة على كوكب الأرض ، ويعدُّون مراكزهم فى نقاط متفرِّقة من العالم ، استعدادًا للهجوم الكبير ، الذى لن يتأخَّر كثيرًا حسبما أعتقد .

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ من أى كوكب جاءُوا ؟

هزَّ (نور) رأسه وهو يسبل جفنيه فى إرهاق ، قائلًا :

ـ لست أعلم بعد ، ولكن لدىَّ من الدلائل

ما يمكِّن علماء الفلك من العثور على كوكب الغزاة ، بسهولة ويُسر .

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وازدادت عيناه ضيقًا ، وهو يغمغم بلهجة متسائلة :

ـ دلائل ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا دكتور (حجازى) ، عدد كبير من الدلائل ، فهؤلاء الغزاة قدموا من كوكب يحتل نفس موقع كوكب الأرض ، ولكن فى مجرَّة بعيدة ، بدليل أنهم يتحرَّكون فوق الأرض دون استخدام أقنعة خاصة ، ولكن شمس مجموعتهم الشمسية أقل ضوءًا وحرارة من شمسنا ؛ لذا يتحرَّكون دائمًا فى الظلام ، ويتحاشون ضوء الشمس ، أو الضوء الساطع عامة ، والغلاف الجوى لكوكبهم يتكوَّن معظمه من ثانى أكسيد الكربون ، وهم يتنفسون الجزء الضئيل منه من غلافنا الجوى ، مما يزيد من اللون الأزرق لبشرتهم ، بل إنه

التفسير الوحيد للون بشرتهم ، أضف إلى ذلك أن جاذبية كوكبهم تقل بعض الشىء عن جاذبية الأرض ؛ لذا تبدو جاذبية الأرض بالنسبة لهم ضئيلة ، مما يضطرهم إلى الحركة البطيئة ، وهذا يدفعهم أيضًا إلى تجنيد عدد من سكان الأرض للعمل من أجلهم ، ألا تعتقد أن هذه المعلومات تكفي علماء الفلك ؟

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـــ مثلما حدث مع زوجتك ورفيقيك ؟

أجابه (نور) فى حزن :

ـــ نعم يا سيِّدى .. لقد جندوهم لمحاربتى ، ولا ريب أنهم استجوبوهم جيِّدًا ، تحت تأثير السيطرة العقلية ، واستغلوا مواهبهم ـــ التي ضمَّتْهم إلى فريقى من أجلها ـــ فى محاربتى ، ولا يخفى عليك أنهم سيكونون أخطر من يطاردنى ، فهم كانوا أقرب الناس إلىَّ .. والصديق الذى يعلم عنك كل شىء هو دائمًا أخطر عدوّ لك حينما تنقلب الأمور .

صمت الدكتور (حجازى) ، ولاحت فى زاوية فمه ابتسامة ، لم تلبث أن تلاشت بسرعة وهو يعاود السؤال قائلًا :

ـــ كيف تفسِّر إذن ما حدث فى مقر المخابرات العلمية ؟

تثاءب (نور) فى إرهاق واضح ، ثم أجاب :

ـــ الأمر بسيط للغاية يا سيِّدى ، لقد بدَّلوا البطاقة الخاصة بتوزيع مسامى العرقية داخل الإدارة ، ووضعوا بدلًا منها واحدة زائفة ، وهكذا لن تنطبق مسامى العرقية الفعلية ، على تلك المدوَّنة فى بطاقتى داخل الكمبيوتر .

قال الدكتور (حجازى) فى لهجة هادئة :

ـــ يالهم من محتالين !!

قال (نور) وهو يقاوم نعاسه بصعوبة :

ـــ لابدَّ أن يعلم العالم كل شىء عنهم يا سيِّدى ، إنك ستعاوننى .. أليس كذلك ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ـــ بالطبع يا بنىَّ ، ولكن بقى أن تجيبنى عن سؤال أخير .

فتح (نور) جفنيه إلى نصف طريقهما ، وهو يسأله :

ـــ أى سؤال يا دكتور (حجازى) ؟

سأله الدكتور (حجازى) :

ـــ ما علاقة مقبرة (أمحتب) بالأمر ؟ ولماذا قتلوا الدكتور (وليد) بدلًا من إفقاده الذاكرة كغيره ؟

عاد (نور) يسبل جفنيه ، وهو يقول بلهجة تسلَّل إليها نعاس لا يقاوم :

ـــ إن مركز قيادة ذوى الوجوه الزُّرق يختفى خلف معبد (أمحتب) يا سيِّدى ، ولكنهم لم ينتبهوا إلى أعماق الحفر التى قام بها الدكتور (وليد) ، ربما لأنه قام بها فى وضح النهار الذى يخشونه ، كما أنه دخل إليهم من مدخل غير مطروق ، ولم يتصوَّر أحدهم قدوم أحد من هذا

المكان ، ولكنه حينما دخل المعبد ، رأى الأجهزة الحديثة ، وشاشات الرصد ، وخريطة العالم ، وفهم كل شىء ولكنه كتم الأمر بداخله ، وأدَّى ذلك إلى اضطرابه وتحطم ساقه ، ويبدو أنَّ هناك عقولًا لا تخضع للسيطرة العقلية التى يشنها ذوو البشرة الزرقاء ، وهذا ما أدى إلى حتمية قتل الدكتور (وليد) ، وهذا السبب نفسه هو الذى جعلنى أحتفظ بذاكرتى على حين فقد رفاق وزوجتى ذاكرتهم .

وفجأة .. تذكر (نور) أمرًا ما ، ففتح عينيه عن آخرهما وهو يسأل الدكتور (حجازى) :

ـــ تُرَى .. هل تعلم ماذا أصاب (مشيرة) ؟.. لقد اختفت تمامًا منذ ذلك الصراع .

حدَّق الدكتور (حجازى) فى وجهه لحظة ، ثم قال فى هدوء :

ـــ لقد ظهرت هذا المساء على شاشات صحيفتها (أنباء الفيديو) ، وأعلنت خبرًا غاية فى الخطورة .

عقد (نور) حاجبيه وهو يسأله :

ـــ أى خبر هذا ؟

صمت الدكتور (حجازى) برهة ، ثم قال :

ـــ لقد أعلنت وجود قاتل مجنون طليق ، ينتحل شخصية الرائد (نور الدين) ، ويجوب الطرقات ، وحذرت الناس منك ، وأعلنت أنك مطلوب للعدالة .

* * *

هبطت كلمات الدكتور (حجازى) على (نور) كالصاعقة ، حتى أنه عجز طويلًا عن نطق كلمة واحدة ، ثم لم يلبث أن دفن وجهه بين كفَّيه ، وشعر بالحجرة تدور حوله كالدَّوامة وهو يغمغم فى أسًى :

ـــ يا إلهى !! لقد أحكموا حصارهم حولى تمامًا ، إنهم لم يتركوا لى منفذًا واحدًا .

مال الدكتور (حجازى) نحوه ، قائلًا :

ـــ سيطاردك الجميع ، رجال الشرطة ، والمخابرات

العلمية ، والصحافة ، وفريقك القديم ، لن يمكنك الفرار إلى الأبد .

قال (نور) فى شرود ، وبصوت أقرب إلى الهمس :

ـــ ليس الفرار هو ما أسعى إليه يا دكتور (حجازى) ، أريد أن يعلم العالم حقيقة ما يحدث ، لابدَّ أن ينتبهوا ويتَّحدوا حتى يمكنهم صد ذلك الغزو .

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم ابتسم وهو يقول :

ـــ عمل كهذا يحتاج إلى بعض الراحة أولًا ، استلق يا بنىَّ حتى أعدّ لك كوبًا من الشاى الساخن يعيد إليك نشاطك .

ابتسم (نور) ابتسامة شديدة الشحوب ، وهو يسبل جفنيه تمامًا ، ويسترخى مسندًا رأسه إلى ظهر الأريكة الواسعة ، ودارت فى رأسه أفكار شتى ...

فكَّر فى زوجته وابنته .. فى (رمزى) و (محمود)

و (مشيرة) .. فى رفاقه الذين تحوَّلوا فى غمضة عين إلى أعداء ، يسعون إلى تحطيمه وقتله .. وهو يسعى جاهدًا لإنقاذ العالم من غزو جديد .. غزو أصحاب البشرة الزرقاء

أفاق (نور) من أفكاره ، على صوت الدكتور (حجازى) يقول :

ــ هاك الشاى الساخن يا بنىَّ .

فتح (نور) عينيه فى صعوبة ، وتناول كوب الشاى وهو يحاول الابتسام بلا جدوى ، وسمع الدكتور (حجازى) يقول

ــ أليس من العجيب أن تسعى لإنقاذ عالم يطاردك ؟

غمغم (نور) :

ــ إنهم لا يعلمون ما أصابهم يا سيِّدى .

عاد الدكتور (حجازى) يقول :

ــ هل تظن نفسك نبيًا جديدًا ، يمتلك قدرًا لانهاية له من التسامح والنُبل ؟

أجابه (نور) فى دهشة :

ــ لست نبيًا يا سيِّدى ، ولكن واجبى يقضى التضحية بحياتى من أجل وطنى ، فما بالك بكوكبى كله ؟

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال فى هدوء :

ــ هذا صحيح يابنىَّ ، اشرب كوب الشاى ... هيَّا .

رفع (نور) كوب الشاى الساخن إلى فمه ، وقبل أن يرشف منه رشفة واحدة ، تألَّق شىء فى عقله ، شىء ارتجف له جسده ، فرفع رأسه إلى وجه الدكتور (حجازى) فى فزع ، وصاح :

ــ يا إلهى !! أنت أيضًا ؟!

وفى حركة سريعة ، رفع الدكور (حجازى) فوَّهة مسدس ليزرىٍّ فى وجه (نور) ، وقال فى صوت أجش مخيف :

ــ ألَمْ أقل لك يا فتى ألَّا فائدة من الهرب ؟

* * *

١٤ ــ ختام الجزء الأول ..

تبخَّرت حالة الإرهاق التى كان يشعر بها (نور) دفعة واحدة ، أمام هذه المفاجأة المذهلة ، ووجد نفسه يقفز واقفًا ، ويشير إلى الدكتور (حجازى) فى غضب ، هاتفًا :

ــ لقد سيطروا على عقلك أنت أيضًا ، كان ينبغى أن أتوقَّع ذلك .

ظهرت ابتسامة ساخرة على شفتى الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ــ ما كان يجب أن تقع فى هذا الخطأ ، مادمت تعلم أن صديقك (رمزى) قد انضم إلينا ، إنه خبير فى الطِّبِّ النفسى ، ويعرفك إلى حدٍّ مذهل .. لقد توقَّع تمامًا أن تلجأ إلىَّ حينما تضيق بك السُّبل .

قال (نور) فى حزن وغضب :

ــ لقد كاد الأمر يخدعنى فى البداية ، لولا أن تنبَّهت إلى تناقض عجيب .. لقد سألتنى حين وصولى عمَّا بى ، وما أصابنى ، ثم أخبرتنى فيما بعد أن (مشيرة) قد أذاعت تحذيرًا منِّى ، وأباحت دمى للناس .

مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وقال :

ــ لقد حدث هذا بالفعل .

قال (نور) :

ــ نعم .. إننى أصدِّقك ، ولكن القول الأول والفعل الأخير يتنافيان تمامًا ، مما جعلنى أشك فى كونك واقعًا تحت سيطرتهم أيضًا .. تُرَى ، ماذا وضعت لى فى كوب الشاى ؟ .. إنه سُمّ ولا شك ، فلم تكن هناك حاجة لدس منوم صناعى ، لرجل يكاد ينهار إرهاقًا مثلى .

صوَّب الدكتور (حجازى) مسدسه إلى رأس (نور) ، وقال :

ـ أنت عبقرى أيها الشاب ، وهذا هو ما يجعل قتلك ضرورة لاتحتمل التأجيل .. فأنت تشكّل خطرًا على عملية الغزو بأكملها .

* * *

لم ينتظر (نور) حتى يبادره الدكتور (حجازى) بدفقة من أشعة اللّيزر ، فتحرّك فجأة إلى اليسار ، ودار على عقبيه ، ثم ركل المسدس الذى يمسك به الدكتور (حجازى) بركلة قوية ، أطاحت به بعيدًا ، وانقض على الدكتور (حجازى) ، ولكن هذا الأخير تلقّى أول لكمات (نور) على ذراعه ، برشاقة وقوة تتنافيان مع بدانته وعمره ، ثم وجّه لكمة إلى بطلنا كادت تهشّم أنفه ..

اتخذ (نور) وضعًا قتاليًا جديدًا ، وهو يواجه الدكتور (حجازى) ، وشعر بالحزن يعتصر قلبه ، وهو يهاجم أستاذه القديم ، ولكنه برغم ذلك لم يدّخر جهدًا فى قتاله ، فقد كانت قوى الدكتور (حجازى) قد

تضاعفت إلى حدّ مخيف ، كما يحدث عادة لكل ضحايا ذوى الوجوه الزُّرق ، وكان يقاتل بمزيج من الكراهية والحقد والشراسة ، كما لو كان واحدًا منهم ، لا من أهل الأرض ..

انقضّ الدكتور (حجازى) على (نور) ، وأمسك بتلابيبه ، ثم رفعه عاليًا كطفل صغير ، وقفز نحو النافذة المفتوحة ، يهمّ بإلقاء (نور) منها .. من الطابق الثلاثين .

رأى (نور) الموت قاب قوسين أو أدنى منه ، لم يَرَ موته ، بل رأى موت كوكب الأرض أمام الغزاة الزُّرق ، وبعث هذا الخاطر فى عروقه قوة رهيبة ، فضم قبضتَيْه ، وهَوَى بهما مجتمعينِ على مؤخر عنق الدكتور (حجازى) .

جحظت عينا الطبيب الشرعى ، ودارتا فى محجريهما ، ثم ندت عنه حشرجة مخيفة ، وهوى أرضًا كالحجر ..

تخلَّص (نور) من قبضة الدكتور (حجازى) فى صعوبة ، ثم نهض مترنّحًا من شدة الألم والإرهاق ، وألقى بنفسه على أقرب المقاعد إليه ، وأخذ يلهث ، وهو يتأمَّل جسد أستاذه الدكتور (حجازى) ، الملقى فوق أرض الردهة .

شعر بالدموع تكاد تنهمر من عينيه ، وهو يستعيد ما حدث منذ صباح أمس ، وفاضت نفسه بالحزن والأسى ..

من كان يتصوَّر أن البحث عن قاتل فى جريمة غامضة يقود إلى كل هذا ؟ عاد بذاكرته إلى الدكتور (فؤاد عيسى) ، الذى ينتظر عودته الآن ، لإثبات براءته .. وقفزت إلى فمه ابتسامة مريرة ، وهو يتذكَّر أنه أصبح يقاتل الآن لإثبات براءته هو ، وليعلم العالم كله قصة الغزو .

نهض (نور) من مقعده ، وألقى نظرة أخيرة على

جسد الدكتور (حجازى) ، ثم توجَّه إلى باب المنزل ، وغادره فى حزن وأسًى .

★ ★ ★

انطلقت سيارة (نور) بلا هدف ، واحتبست فى حلقه غُصَّة منعته من الكلام أو حتى البكاء .

كان يعلم طريقه جيِّدًا ، ولكنه لم يكن يعرف كيفية الوصول إليه .

كان العالم كله يحاربه ..

وكان هو يحارب من أجل العالم كله ..

العالم أجمع يسعى للقضاء عليه ..

وهو يسعى لإنقاذ العالم أجمع ..

كان هو هدف الجميع ..

وإنقاذ الجميع هو هدفه الأول ..

كان عليه أن يتجاهل زوجته وابنته ورفاقه ..

وعليه أن يسعى لإنقاذ زوجات وأبناء ورفاق الآخرين ...

كان رجلًا يحمل على كتفيه عبئًا لا يطيقه أشد الرجال قوةً وبأسًا ..

عبء إنقاذ العالم بأكمله من الغزو القادم من وراء النجوم ..

عبء تحدّى الخطر الذى أطلق عليه اسم (الموت الأزرق) .

* * *

[تم بحمد الله الجزء الأول]

العدد القادم

الجزء الثانى

[السماء المظلمة]

رقم الإيداع ٣٢١٥